دراسات منهجية هادفة في البناء

جند الله تخطيطاً

سعيد حوى

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية . عابدين
القاهرة . تليفون ٣٩١٧٤٧٠

دراسات منهجية هادفة
في البناء



﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾

صدق الله العظيم

سعيد حوى

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية. عابدين
القاهرة - تيلفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الثانية

١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ

« صدق الله العظيم »

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء

قلنا فى كتابنا « جند الله . . ثقافة وأخلاقاً » تحت عنوان : « حزب الله - أولاً وقبل كل شىء - اتجاه » :

إنَّ حزب الله هم المسلمون الحقيقيون ، سواء أكانوا علماء أم ربانيين أم عامة ، وسواء قام الواحد منهم بدور كبير أو صغير ، بالاشتراك مع الآخرين أو منفرداً .

فإلى مَن توافرت فيهم صفات حزب الله وخصائصه أينما كانوا وحيثما كانوا ، سواء أكانوا منظمين فى تنظيم إسلامى أو ملتزمين بشيخ أو بجمعية أو جماعة ، أو كانوا يؤدون دورهم فى الجندية لله بخفاء أو ظهور .

إلى هؤلاء جميعاً أتوجه بهذا الكتاب ، فلعله يكون هادياً للجميع فى أن يؤدى كل منهم دوره فى خدمة الله بقوة وعلى بصيرة ، وإن لم يضمهم تنظيم واحد ، فالفهم المشترك والوعى على واجبات العصر يحققان الأهداف القريبة والبعيدة ، والله من وراء القصد .

سعيد حوَّى

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل الكتاب

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وآله ، وبعد . . .

كنا وعدنا أن نصدر كتاباً تحت عنوان « جند الله . . تخطيطاً وتنظيماً وتنفيذاً » ثم وجدنا أن الظرف والوقت والمصلحة لا تسمح بظهور الكتاب ، فبثثنا الكثير من موضوعاته فى سلسلة فقه الدعوة والبناء والعمل الإسلامى ، ثم رأينا أن نجعل جزءاً من هذه السلسلة هذا الكتاب تحت عنوان « جند الله . . تخطيطاً » فتصبح بذلك هذه السلسلة عشرة كتب يستطيع قارئها أينما كان موقعه فى الأُمة الإسلامية أن يقوم بحق الله عَزَّ وجَلَّ فى الموقع الذى هو فيه، ثقافة وأخلاقاً وتخطيطاً وتنظيماً وتنفيذاً ، فما من مسلم سواء أكان ملكاً أو رئيساً أو أميراً أو وزيراً أو موظفاً أو رجلاً عادياً - فضلاً عن الدعاة والعلماء - إلا وواجبه أن يكون من حزب الله وأن ينصر رسول الله ﷺ وأن يعمل على إقامة شريعة الله فى نفسه وفيمن تحت رعايته وعلى مَن يستطيع الوصول إليه ، لذلك خاطبنا فى السلسلة المذكورة عامة المسلمين أن يرتقوا هذا المرتقى الرفيع ، وذكَّرنا الجماعات العاملة للإسلام ببعض ما ينبغى أن يتذكَّروه ، وخاطبنا العلماء والربَّانيين بما يجب أن يعملوه ، وذكَّرنا الأمراء والرؤساء بما ينبغى أن يكونوا عليه ، وهذه الرسالة نعتبرها تتويجاً لهذه السلسلة ، وهى موجهة لمن ينتدب نفسه من الأُمَّة الإسلامية ليأخذ على عاتقه القيام الحكيم المتأنى المتدرج بمجموع العمليات التى تحتاجها الأُمَّة الإسلامية إن فى الثقافة أو فى الأخلاق أو فى الدفع نحو التخطيط السليم والتنظيم المناسب لتحقيق الأهداف أو لترشيد التنفيذ تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن

مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ، وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

ولا يصلح لهذه المهمة على التمام والكمال إلا مَن استوعب الثقافة الإسلامية وتحقق بأخلاقية حزب الله واستشرف الساحة العالمية والساحة الإسلامية والساحة المحلية ، وعرف حدود المتاح والممكن وعرف كيف يعمق الإسلام فى كل موقع ولم يستثن من دائرة جهوده موقعاً من المواقع ، وأدرك القيمة الجلى للعمل الإسلامى الرسمى والعمل الإسلامى الشعبى والعمل الإسلامى الفردى ، ودفع كلاً فيما يخدم الاستراتيجيات الكبرى للأُمَّة الإسلامية .

والكتب العشرة التى صدرت فى سلسلة « فقه الدعوة والبناء والعمل الإسلامى » والتى بثثنا فيها تفصيلات مهمة لكل ما يلزم حزب الله كأفراد أو مجموعات أو جماعات أو قيادات ، هذه السلسلة هى ما يلى :

أولاً : من أجل خطوة إلى الأمام على طريق الجهاد المبارك .

ثانياً : جند الله . . ثقافة وأخلاقاً .

ثالثاً : فصول فى الإمرة والأمير .

رابعاً : دروس فى العمل الإسلامى .

خامساً : فى آفاق التعاليم .

سادساً : المدخل إلى دعوة حسن البنا رحمه الله .

سابعاً : كى لا نمضى بعيداً عن احتياجات العصر ، وهى مجموعة رسائل لا يستغنى عنها العاملون للإسلام فى هذا القرن .

ثامناً : هذه تجربتى وهذه شهادتى ، وقد أصدرنا منها القسم الأول وأخَّرنا القسم الثانى إلى أوانه .

---

(١) آل عمران : ١٠٤

تاسعاً : جولات فى الفقهين الكبير والأكبر وأصولهما ، وهو يصلح أن يكون من هذه السلسلة لأن له علاقة بثقافة حزب الله ، كما يصلح أن يكون مقدمة لسلسلة « الفقهين الكبير والأكبر » .

عاشراً : جند الله .. تخطيطاً .

والحقيقة أن ما فى الكتب التسعة السابقة على هذا الكتاب تخدم إلى حد كبير موضوعه لأننا بثثنا كثيراً من أفكاره فيما سواه ، ومع أننا أصدرنا هذا الكتاب فإننا محكومون بألا نتكلم إلا ضمن حدود معيَّنة ، لكن ما لا يُدرك كله لا يُترك جله ، وإنما دفعنا إلى إخراج هذا الكتاب أنه وُجِدت فى الصحف السائرة والمجلات كلام كثير فى هذه المرحلة عن الصحوة الإسلامية وعن أولويات العمل الإسلامى ، فمن مشكك إلى مدافع إلى متكلم عن نوع من أنواع الأولويات ، بينما الأولويات بالنسبة للعمل الإسلامى نسبية ؛ فهناك أولوية بالنسبة لكل مسلم ومسلمة ، وهناك أولوية بالنسبة لروَّاد المساجد ، وهناك أولوية بالنسبة للمجموعات الإسلامية ، وهناك أولويات بالنسبة لكل جماعة إسلامية على حدة ، وهناك أولويات بالنسبة للأُمَّة الإسلامية ، وهناك أولويات بالنسبة للحكومات ، وهناك أولويات تُفترض على المسلمين حكومات وشعوباً كفرائض عصر تجاه بعض القضايا كمشكلة الغزو التبشيرى لأطراف الأُمَّة الإسلامية ، وهناك المشكلات الحادة بسبب الفقر أو الجهل أو المرض التى تعانيها بعض الشعوب الإسلامية ، وهناك مشكلة دعم الشعوب الإسلامية المجاهدة ، وهناك أولويات بالنسبة للأُمَّة الإسلامية تجاه الحرية الدينية فى البلدان الشيوعية ، وهكذا فإن أولويات العمل الإسلامى نسبية وبالتالى فإنها تحتاج إلى تفصيل كثير لا تحيط به كلمة مختصرة فى جريدة أو مجلة ، وهذا الذى دفعنا إلى إصدار هذا الكتاب .

فنحن وإن لم نقل فيه كل شىء ، فقد قلنا فيه ما يمكن أن ينتفع به كل مسلم إن شاء الله تعالى .

* *

لقد امتلأت الساحة الإسلامية بأنواع من العمل الإسلامى تثير الإعجاب فى كثرتها وتنوعها ، ولكل نوع من العمل تنظيمه وخطته ووسائل تنفيذه ، والتحقيق أن التنفيذ الجيد والتنظيم الجيد يتبعان التخطيط الجيد ، وهذا الكتاب يتكلم عن التخطيط الأعلى للأُمَّة الإسلامية ويرسم الحد الذى لا بد منه للتنظيم والتنفيذ .

إن التخطيط الأعلى للأُمَّة الإسلامية والتنظيم والتنفيذ المناسبين لذلك هو أعظم المهمات على الإطلاق . ولن يستطيع أن ينجح فيه فرد ولا صف إلا إذا ترافرت الشروط التالية :

أولاً : الرسوخ فى العلم ، فغير الراسخ فى العلم لا يستطيع أن يخطط للأُمَّة الإسلامية على بصيرة .

ثانياً : الحكمة التى هى وضع الأُمور فى مواضعها :

فوضع الندى فى موضع السيف فى الندى

مضرٌّ ، كوضع السيف فى موضع الندى

ثالثاً : الحركية ، فتخطيط لا تتحرك جهة ما لتنفيذه تخطيط ميت .

فالعلم والحكمة والحركة شروط لا بد منها ، ولكن الحركة إذا لم تقم على أساس من الأخلاقية العالية والتخطيط السليم وبعقلية منظمة وبتنفيذ عبقرى فقد لا تؤدى الهدف المرجو .

لقد توصلتُ منذ أمد بعيد إلى أن سر المعضلة فى الأُمَّة الإسلامية يكمن فى الفرد المسلم ، فإذا ما استطعنا أن نوصل كل فرد مسلم إلى كل ما ينبغى أن يُحصِّله فإنَّ تغيراً جذرياً فى وضع الأُمَّة الإسلامية سيحدث .

ومعضلة الفرد المسلم على أى مستوى كان تكمن فى خمسة أُمور : الثقافة - الأخلاق - التخطيط - التنظيم - التنفيذ .

* *

ليس المهم عندى بعد تجربتى الطويلة أن نوجد قوالب جاهزة جامدة أو أُطراً مسبَّقة ، وإنما أصبح المهم عندى هو وجود الرجل الذى يمتلك ناصية الثقافة ويتحقق بالأخلاق ويبادر - حيث كان وفى أى موقع كان - إلى وضع خطته وتنظيم أوضاعه على ضوئها وأن ينفذ بالمهارة الكاملة والطريقة المثلى .

سواء أكان طالباً أو مدرِّساً أو عازباً أو متزوجاً أو فى نقابة أو مؤسسة أو إدارة أو فى جماعة أو جمعية أو حزب أو ناد أو كان رئيس دولة أو وزيراً أو حاكماً أو محكوماً المهم أن توجد هذه الشخصية المتكاملة ، ومن ههنا حاولنا أن يجد قارىء هذا البحث حيثما كان موقعه ما يصلح أن يكون نقاط علام تفيده فى حلكة هذا العصر .

* *

إنه من بين كل شئون العالَم يبقى الدين والسياسة والحرب هى الأكثر احتياجاً لوجود هذه الشخصية فدين لا يقوم إذا لم يتجسد بأشخاص ثقافة وأخلاقاً مع اتقان للتخطيط والتنظيم والتنفيذ . ولن تنجح سياسة إذا لم يكن أهلها مستوعبين ساحة العمل أمامهم وقادرين على التخطيط والتنظيم والتنفيذ ، وحرب لا تنجح إذا لم توجد العقليات التى تمتلك التخطيط والتنظيم والتنفيذ الذى يتناسب مع طبيعة المعركة التى يخوضونها ، ولكن إذا كانت هذه الثلاثة تحتاج أكثر من غيرها لمثل ما ذكرناه فإن أصغر وحدة فى الحياة - وهى وحدة الأسرة - لا تنجح بدون هذه المعانى الخمسة ، أرأيتَ لو أن أسرة أهملت هذه المعانى الخمسة ماذا يكون ؟ ألا ترى أن التصورات المختلفة والأخلاق المتغايرة وانعدام التخطيط والتنظيم والتنفيذ كاف لبعثرة الأسرة أو لإيجاد بيت لا نظافة ولا طهارة ولا ترتيب ولا تنظيم ولا انسجام ولا مستقبل لأى فرد فيه .

وإذن .. فلا بد على أى مستوى من المستويات أن توجد هذه الأُمور مجتمعة ، ولن تكون كذلك إلا إذا أصبحت ملكات للفرد المسلم يفيضها على

مَن حوله. لا أقول : إن هذه الأُمور ليست موجودة عند المسلمين ، ولكن أقول : ينبغى أن تكون حقاً وصواباً ومكافئة للعصر وأن تكون مجتمعة عند كل فرد فذلك الذى أجده قليلاً ، وكثيراً ما ركَّزتُ فى بعض جلساتى الخاصة على هذه الشئون وضربتُ الأمثلة البسيطة والكثيرة عليها ، ومن أمثلتى على ذلك أنه لو أراد أحد أن يدعو خمسة أشخاص لطعام غداء فإنه ملزم بهذه النقاط الخمس وإلا فإنه سيفشل ، وكان كثيرون يردون على كلامى بأننى أحلم حلماً عندما أتصور أنه بالإمكان الارتقاء بكل فرد إلى مثل هذا المستوى ، ولكننى ما كنت أكترث لمثل هذه الاعتراضات ، فإذا كان الأمر مطلوباً شرعاً وعقلاً فإنه قابل للوجود ، قد يحتاج إلى زمن ، ولكن كل كمال يبدأ من فرد ليصل إلى دائرة أوسع ثم يعم الجميع وهذه تجارب المجتمعات كلها تدل على ذلك .

ألا ترى أن المجتمعات التى تعوَّدت على النظام لم تتعود طفرة واحدة فها نحن نرى فى الواقع مجتمعات لا يشذ فيها عن النظام فى الظاهر أحد .

على كل الأحوال إن الشىء الذى يحتاج إلى تذكير علينا أن نذكِّر به والذكرى تنفع المؤمنين .

وليس كلامنا فى التركيز على الفرد المسلم لاستيعابه هذه النقاط الخمس إهمالاً لضرورة وجودها على مستويات أخرى ، ولا إهمالاً لمبدأ التخصص ، ولكن كل صف مؤلَّف من أفراد وكل عمل جَماعى يتألف من أفراد ، فإذا كان هؤلاء الأفراد مستوعبين لما ينبغى استيعابه ، فإن الصف سيكون بالضرورة على المستوى اللائق .

وقد جعلنا هذا الكتاب فى بابين :

الباب الأول : فى المرتكزات التى لا بد منها لأى تخطيط ناجح .

الباب الثانى : فى ساحات التخطيط فى العمل الإسلامى المعاصر .

* * *

الباب الأول

فى المرتكزات التى لا بد منها
لأى تخطيط نَاجح ...

● الانتماء العفوى والانتماء التنظيمى .

● سقف مرتفع .. وجهة مستشرفة .

● التيارات الإسلامية يجب أن تتكامل بدلاً من أن تتعارض .

● درجات العضوية .

● الانتخاب والتعيين والنظريات التنظيمية .

● الطاعة .. والشورى .

● واجبات حزب الله العامة .

● تعميق استقلالية العالَم الإسلامى .

● أمن الأُمة الإسلامية .. وأمن العاملين للإسلام .

● داعية لكل مسجد .. داعية لكل جهة .

● خطة للعاملين للإسلام فى كل قطر .

● العقل المخطط والتخطيط الفنى .

● الهيكل التنظيمى لحركة إسلامية عالَمية واحدة :

* فى عبقرية التنفيـــــذ .

* فى خارطة التخصصات التى يحتاجها العمل الإسلامى .

* فى الداعية والمنابر وتسخير الطاقات لخدمة الإسلام .

* فى اجتهادات حركية يحتاجها العاملون للإسلام .

* فى الموقع التنظيمى والموقع الرسمى والكفاءة الذاتية .

* فى القيادة من خلال الحركة والحكمة وبُعْد النظر والسنن الإلهية .

● لا عصمة للتنظيم الإسلامى ولا لمؤسساته ولا لأى قيادة غير قيادة الرسل عليهم الصلاة والسلام .

مقـــــــدمة الباب

إن العمل الإسلامى المعاصر يحتاج إلى وضوح كبير فى المقولات والمرتكزات . فبدون هذا الوضوح قد تقع الحركة الإسلامية فى مطبَّات خطرة وأخطاء قاتلة ، ولا بد من التفريق بين سُنَّة الله فى ابتلاء المؤمنين وبين الأخطاء التى يرتكبها المؤمنون مخالفين فيها سنن الله عَزَّ وجَلَّ ومخالفين فيها شريعته وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً .

فالعاملون للإسلام فى هذه المرحلة كُثُرُ ولكن أى هؤلاء هو الذى يملك الاجتهاد الأقوى والأصح والأكثر صواباً ومصلحة للإسلام والمسلمين .

وهؤلاء الذين يعملون فى الساحة الإسلامية لا بد أن يمتلكوا القدرة على أن تتكامل أعمالهم بدلاً من أن تتعارض ، وهؤلاء جميعاً لا يصح أن تغيب عنهم الآفاق الرحيبة التى ينبغى أن ينظروا فيها إلى العمل الإسلامى والعاملين ، فالأُمة الإسلامية فى هذه المرحلة لا يمكن أن يضمها تنظيم واحد ، وإن حرصنا على ذلك ، وكثيرون من الأفراد لا يصلح أن يكونوا فى تنظيم لأنهم يستطيعون أن يخدموا الإسلام على طريقتهم الخاصة أكثر مما يستطيعون أن يخدموه لو كانوا فى تنظيم ، وكل الاتجاهات الرئيسية العاملة فى الأُمة الإسلامية سواء أكانت صوفية أو سَلَفية أو دَعوية أو علمية أو جامعة يمكن أن تؤدى دوراً كبيراً إذا تجاوزت بعض السلبيات ، وهكذا فإن العمل الإسلامى لا بد أن يكون له مرتكزات فكرية وعملية تجنبه العثرات وضيق الأُفق ، ومن ههنا جعلنا هذا الباب فى مثل هذه المعانى لتكون واضحة واجبات الجندية لله ، وأن هذه الجندية ليست مغلقة ولا ضيقة الأُفق ولا تضيق ذرعاً بكثير من الاجتهادات بل هى تحاول أن تجعل كثيراً من السلبيات إيجابيات من خلال سعة الأُفق وحسن التأنى للأمور .

ولقد جعلنا فصول هذا الباب كله فيما يخدم فى هذا الشأن .

* * *

الفصل الأول

الانتماء العفوى والانتماء التنظيمى

إن انتماء المسلم الأصيل هو انتماؤه إلى الإسلام والأُمَّة الإسلامية ، ويبقى وسيبقى انتماؤه هذا هو الموجِّه والهادى له فى كل شىء ، والمهيمن عنده على كل شىء ، وفى عهد النبوة وفى عهد خلافة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، وصدرٌ من خلافة عثمان رضى الله عنه ، كان كل فرد من الأُمَّة الإسلامية ينتسب إلى جماعة المسلمين وإمامهم الراشد ، ثم حدث الخلل وحدثت الفتنة الكبرى ، ثم آلت الخلافة الراشدة بعد علىّ والحسن رضى الله عنهما إلى الملك العضوض ، وبقى اسم الخلافة قائماً ، وحدث أن ظهرت الفِرَق الإسلامية فأصبح العلماء الراشذون يُركِّزون على مذاهب أهل السُّنَّة والجماعة العقدية والفقهية والسلوكية ، وأصبح من الضرورة بمكان أن ينتمى الإنسان انتماءً عفوياً إلى أهل السُّنَّة والجماعة كانتماء أصيل لا بد منه ، ومع هذا الانتماء بقى الانتماء إلى الخلافة أو إلى السلطان المسلم موجوداً يقوى ويضعف بحسب كون الخليفة أو السلطان راشداً أو غير راشد .

وبسقوط الخلافة العثمانية طرأ طارىء جديد على الأُمَّة الإسلامية ، فأصبح المسلم مكلَّفاً بأن يكون من الطائفة التى نصَّت عليها النصوص : « لا تزال طائفة من أُمَّتى ظاهرين على الحق » ، ويكون الإنسان من هذه الطائفة متى حصَّل الثقافة الإسلامية الصحيحة على ضوء مذاهب أهل السُّنَّة والجماعة ، وظهرت فيه أخلاقية حزب الله كما فصَّلناها فى كتابنا « جند الله . . ثقافة وأخلاقاً » وأدَّى واجباته التى منها واجبات العصر وواجبات الوقت .

إن مثل هذا يكون منتمياً إلى الطائفة انتماءً عفوياً سواء أكان منتسباً إلى تنظيم أو لم يكن منتسباً ، لكنه حدث بجانب هذا الانتماء العفوى أن وُجِدت تنظيمات إسلامية يأخذ كل منها على عاتقه إحياء الإسلام من وجهة نظره الاجتهادية .

ولو تأمل الإنسان بإنصاف لوْجد أن كثيراً من هذه التنظيمات يكمل بعضها بعضاً ، وإحياء الإسلام بحاجة إليها جميعاً ، وهذه التنظيمات لا حَرَج على المسلم أن يتعاون معها جميعها على ما تدعو إليه من خير ملتزماً فى هذا التعاون ألا يخرق قواعدها التى ألزمت نفسها بها ، وإنه لمن ضيق النظر أن يظن مسلم أن المسلمين اليوم يمكن أن يجمعهم تنظيم واحد ، ففى أواخر الخلافة الراشدة – مع أن الأمر كان قوياً – حدث تصدع ، وبعد سقوط الدولة الأُموية وُجِدت أكثر من دولة ، إن وحدة المسلمين التنظيمية شيء نطمح إليه ولكن نسلِّم أنه غير ممكن ، فكيف يمكن فى أوضاعنا المعاصرة أن يوجد التنظيم الواحد لكل الأُمَّة الإسلامية ، ولما يوجد الخليفة الواحد لكل المسلمين : أقطار متباينة – أنظمة متعددة – صعوبة الاتصال – الضغوط العالمية والمحلية ، هذا مع قِلَّة الوعى عند الكثيرين وعدم استعداد الكثيرين لتحمل مسئولياتهم ، وهذا كله يفرز اجتهادات متعددة قد يكون بعضها أقوى من بعض ، ولكن الكثير منها يتكامل فى خدمة الإسلام .

وأمام تعذر التنظيم الواحد فلا بد من أن ينوب عن ذلك فهم مشترك ووعى مشترك وقيام بالواجب العَيْنى حيثما وُجِد واجب عَيْنى ، ولا بد أن ينوب الإخاء الإسلامى الموحَّد مناب التنظيم الإسلامى الموحَّد .

وأن يتحقق فى هذا الإخاء الإسلامى الموحَّد الوحدة الشعورية للمسلمين . « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمَّى » .

إنه من الفرائض على المسلمين أن يوائموا بين اجتهاداتهم فى إقامة الدين

وعدم التفرق فيه ، قال تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحاً وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ، أَنْ أَقِيمُواْ الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾ (١) .

ومن هذا كله يجب أن يعرف كل مسلم أن عضوية حزب الله ليس شرطاً فيها الانتماء إلى تنظيم ، فهناك انتماء عفوى وانتماء منظَّم ، والعبرة للثقافة والخصائص ، وبهذه الروح يكون المسلمون أقدر على فهم بعضهم بعضاً ، كل منهم يؤدى واجبه فى الثغرة التى هو فيها ، وكل منهم يخدم دينه وأُمَّته فى الموقع الذى هو فيه ، وقد يخدم فرد غير منتم إلى تنظيم أكثر بكثير من فرد آخر منتم إلى تنظيم ، ولا يعنى هذا التقليل من أهمية العمل المنظَّم ، فلقد كتبنا فى ذلك الكثير ، ولكنَّا نريد ههنا أن نؤكد أن الجندية لله تتحقق بدون الانتماء إلى تنظيم ، وأن الإخاء الإسلامى العام والوعى الإسلامى العام ينبغى أن يجعل المسلمين أكثر فهماً لبعضهم وأكثر معرفة للإيجابيات والسلبيات ، وأن ينفوا ما استطاعوا السلبيات ويفطنوا للإيجابيات وينظروا لمن تحقق بمواصفات الجندية لله نظرة احترام وتقدير أيّاً كان وحيثما كان .

ولقد أجبتُ مرة فى مقابلة صحفية على سؤال وُجِّهَ لى حددتُ فيه الاختلاف المقبول والاختلاف غير المقبول ، كما حددتُ فيه شئوناً أُخرى نسجم مع موضوع هذا الفصل ، وخلاصة ذلك كله أنه إذا وُجِدَ الاعتقاد الصحيح والعمل المستقيم والإخاء العام والوعى والرغبة فى التكامل بين العاملين للإسلام فلا حَرَج ولا خطر .

وهذه هى الإجابة أسجلها فى نهاية هذا الفصل لانسجامها مع موضوعه :

« إن الاختلافات فى وجهات النظر يمكن أن يُنظر لها من زوايا متعددة ، فإحدى الزوايا التى يمكن أن يُنظر إليها منها هو الخلافات السياسية التى نراها

(١) الشورى : ١٣

فى الأرض الإسلامية كما نراها فى الوطن العربى ، فمن وجهة النظر الإسلامية نقول : إن هناك عدة اجتهادات سياسية ظهرت فى الوطن العربى والوطن الإسلامى ، فهناك الاجتهاد القومى ، وهناك الاجنهاد الوطنى ، وهناك اجتهادات المصلحة العامة ، وهناك وجهات نظر منها : الديمقراطية ، ومنها ومنها . . . .

نستطيع أن نقول : إن هناك عدة تيارات سياسية ظهرت فى العالم الإسلامى عامة وفى الوطن العربى خاصة ، نحن نتصور أن أى اجتهاد سياسى لا يعتبر نفسه بديلاً للإسلام شىء قابل للمحاورة والمدارسة وقابل للخطأ والصواب .

والاجتهاد المرفوض عندنا هو الاجتهاد الذى يدعو إلى إلغاء الإسلام ، أما ما عدا ذلك كأن وُجد اجتهاد سياسى ضمن ما يمكن أن نسميه بالمصالح المرسلة أو إذا وُجد اجتهاد سياسى لا يدعو إلى إلغاء الإسلام فمثل هذا الاجتهاد السياسى يمكن أن نعتبره قابلاً للحوار .

ويمكن أن يُنظر إلى موضوع الخلاف نظرة أخرى وهو أن الأُمَّة الإسلامية قد افترقت إلى ثلاث وسبعين فرقة وذلك مصداق ما ورد فى السُّنَّة ، فالافتراق عن أهل السُّنَّة والجماعة لا يصح دائماً أن يستتبع اقتتالاً ، فقد سَنَّ لنا الإمام علىّ رضى الله عنه أن ننظر إلى هذا الموضوع نظرة واسعة ، فمثلاً رغم أن الخوارج قد خرجوا عليه فإنه لم يبدأهم بالقتال حتى قاتلوه ، ومن هنا فإن سُنَّة الإمام علىّ التى هى السُّنَّة الراشدة نحن نتقيد بها ونتأسى بها .

ويمكن أن ننظر إلى سؤالكم من زاوية أخرى ؛ وهو أننا نجد أن هناك خلافاً بين مَن ينتسبون إلى أهل السُّنَّة أنفسهم ، وهذا نراه فى التيار الإسلامى الحديث يظهر بمظاهر مختلفة ، وهذا الاختلاف بحد ذاته يمكن أن نفسِّره بما يفسِّره القرآن الكريم ، والقرآن الكريم ذكر أن هناك أسباباً متعددة للخلاف بين الناس فمثلاً أثناء الكلام عن أُمم سابقة ذكر جَلَّ جلاله قوله تعالى : ﴿ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ ﴾ (1) إذن فعندما ينسى

---

(1) المائدة : ١٤

المسلمون جزءاً مما أُنزل عليهم فإن الله عَزَّ وجَلَّ يورثهم العداوة والبغضاء ، كذلك قال تعالى : ﴿ وَما تَفرَّقُواْ إلا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيَاً بَيْنَهُمْ ﴾ (١) ، فإذن هناك افتراق حدث فى الأمم السابقة من أتباع دين واحد . وقال تعالى : ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ ﴾ (٢) .

فعندما نفتقد العقل الشرعى فإن ذلك يؤدى إلى الاختلاف فى القلوب . . . وهكذا .

إذن فالاختلاف الذى يحدث بين أبناء التيار الإسلامى قد يكون له أسبابه المرضية .

أما إذا لم تكن هناك أسباب مرضية تؤدى إلى الخلاف فالمفروض ألا يكون الاجتهاد عاملاً من عوامل التفكك والاختلاف .

المسلمون مُطالبون بشيئين فى آن واحد . . مُطالَبون بأن يجتهدوا فى إقامة الدين ، ومُطالَبون بألا يتفرَّقوا فى هذا الدين والله عَزَّ وجَلَّ يقول : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ، أَنْ أَقِيمُواْ الدِّينَ ولا تَتَفَرَّقُواْ فيه ﴾ (٣) فهنا قوله تعالى : ﴿ أَنْ أَقِيمُواْ الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾ . فهناك أمر إذن بإقامة الدين ، وهناك نهى عن التفرق فيه ، وكثير من المسلمين لا يستطيعون أن يوائموا بين الاجتهاد فى إقامة الدين وبين عدم التفرق فيه ، فلا ينبغى ولا يصح فى منطق القرآن ومنطق الإسلام أن يكون اجتهادنا فى إقامة الدين عاملاً من عوامل التفرق فيه .

قد يحدث اجتهاد من أجل إقامة الدين ، وهذا الاجتهاد قد يكون صحيحاً ، ولكن قد ينظر بعض الناس إلى أصحاب هذا الاجتهاد نظرة عدائية ، وبالتالى ينظرون إلى أهل هذا الاجتهاد بعين الإدانة ، بينما ينبغى أن تكون العبرة لصحة

---

(١) الشورى : ١٤ (٢) الحشر : ١٤ (٣) الشورى : ١٣

الاجتهاد ، فإذا كان الاجتهاد صحيحاً فمثل هذا الاجتهاد نعتبره إيجابياً فى الحركة الإسلامية ، والدعوة إلى وحدة الصف على حساب أن نترك الاجتهاد الصحيح والأقوى دعوة خاطئة فى مثل ظروفنا ، ولو تصوّرنا بأن كل اجتهاد صحيح يجب آن يلغى نفسه بسبب كلام الناس عنه لبقى الفكر الإسلامى متخلفاً ولبقى العمل الإسلامى متخلفاً ، لا شك بأن وحدة المسلمين شىء نطلبه ، وأنَّ تجمع ثلاثة على الخير أفضل من تجمع اثنين ، وتجمع أربعة خير من تجمع ثلاثة ، ونحن عملياً ندعو إلى وحدة العمل الإسلامى ولكن فى الوقت نفسه نخشى من أن نبقى متخلفين .

ومن ههنا نحن ندعو إلى أن يكون الاجتهاد الذى يجتمع عليه المسلمون هو الاجتهاد الأقوى والأصح ، والاجتهاد الأضعف ليس صالحاً للبقاء ، فإذا تركنا الاجتهاد الأصح من أجله نكون قد فرَّطنا فى آصل الوجود .

على كل الأحوال ، هذه القضية تحتاج إلى مدارسات كثيرة ومذكرات ، وكما قلنا من قبل : إنه ينبغى أن نوفق بين اجتهادنا لإقامة الدين وبين عدم التفرق فيه ، فنحن نقول : إن الوحدة التنظيمية التى تضم المسلمين جميعاً لـم تتحقق إلا خلال فترة محددة من الزمن ، فقد وُجِدت وحدة عضوية وتنظيمية فى زمن رسول الله ﷺ ، ثم فى زمن أبى بكر رضى الله عنه ، ثم فى زمن عمر رضى الله عنه ، ثم فى الصدر الأول من خلافة عثمان رضى الله عنه ، ثم بعد ذلك حدث الاختلاف ، ثم قامت الدولة الأُموية حيث حدثت خلافات كثيرة . . لكن بقى المسلمون فى الظاهر - إلى حد ما - تجمعهم وحدة الدولة مع أنه قد حدث قتال وحدث خروج كثير وحدثت دعوات سرية كثيرة وهكذا . .

وعندما قامت الدولة العباسية تقريباً لم تبق وحدة تنظيمية تضم المسلمين ، فنحن لا نفترض فى هذا العصر المعقَّد من كل الجوانب والذى يحمل أخطاء تاريخية كثيرة وأوضاعاً جغرافية معقَّدة كثيرة ، لا نفترض فى العصر هذا بالذات أنه بالإمكان أن توجد وحدة تنظيمية لكل المسلمين . . ولكننا نفترض

أنه يجب أن يكون هناك إخاء جامع للمسلمين ، ونفترض أنه إذا فاتت العلاقات التنظيمية أن لا تفوت العلاقات الأُخوية ، هذا الذى نفترضه وما سوى ذلك نحرص عليه ونحبه ، ولكن المراد أقرب إلى الخيال ، نحن اليوم مُطالَبون بوحدة وعى وإخاء يجمعنا جميعاً ، وأن لا يكون الاجتهاد فى إقامة الدين عاملاً من عوامل التفرق فى هذا الدين ، ونحن فى الوقت نفسه مُطالَبون بالبحث عن الاجتهاد الأقوى لإقامة الدين ، فعندما تجتهد مجموعة من الناس ترى أن اجتهادها هو الأقوى ، نرجو أن يكون لهذا الاجتهاد دوره الإيجابى على مجريات الأمور وفى حياة هذه الأُمة ، ونحن نعتقد أن الاجتهادات المتعددة التى يفرضها عصرنا هى اجتهادات لإقامة الإسلام وإحيائه ، فالوضع فى العالَم معقَّد إلى درجة كبيرة بحيث أن الاجتهاد الواحد لا يمكن أن يجتمع عليه المسلمون ، فلا بد نتيجة لتعدد الظروف التى يواجهها المسلمون فى كل مكان أن توجد اجتهادات متعددة ، كل اجتهاد يرى أنه من الأفضل أن يؤخذ به ، وأنا أظن أن مجموعة هذه الاجتهادات يكمل بعضها بعضاً ، ومن ثَمَّ فنحن ننظر إلى هذه الاجتهادات المتعددة على أنها ستفيدنا . مع رغبتنا أن يلحظ المسلمون الاجتهاد الأقوى وأن يتابعوه .

إن التيار الإسلامى يضم اتجاهات عديدة ، وأظن أن كثيراً من هذه الاتجاهات لها جذور عميقة سواء فى الحاضر أو فى الماضى ، أو فى الحاضر والماضى فى آن واحد .

إن الذين يعملون فى الحقل الإسلامى متعددون ، فمثلاً هناك السَلَفيون وهم يعملون بجد ونشاط حسب اجتهادهم ، وهناك الصوفية وهم منتشرون بكثرة فى أكثر أقطار الأُمة الإسلامية يرفدون العمل الإسلامى ، وهناك تيار الفقه والفقهاء والعلم والعلماء وهؤلاء كذلك يرفدون العمل الإسلامى ، وهناك التيار الرسمى الذى يتمثل فى جامعات ومؤسسات ومعاهد ، ويتمثل كذلك بوزارات الأوقاف فى كل مكان فى العالَم الإسلامى وهؤلاء يرفدون العمل الإسلامى كذلك ، وهناك أحزاب إسلامية وجمعيات وجماعات إسلامية أيضاً ترفد العمل الإسلامى .

هذه التوجهات فى خدمة الإسلام كلها صبَّت وتصب فى إيجاد الصحوة الإسلامية ، وكل منها يخدم من خلال وجهة نظره ، والخطر عندنا أن يكون التناقض بين هذه الاتجاهات سبباً فى إلغاء قوة الإسلام . المطلوب الآن - كما قلنا - إخاء واحد ووعى واحد يضمان الجميع ، وعندما نقول هذا لا يعنى بالضرورة أن نسكت على أخطاء بعضنا ولكن بالضرورة أن نصحح لبعضنا ، على أن يبقى الإخاء هو الذى يضمنا .

نحن ننظر بإيجابيات إلى أى نوع من العمل الإسلامى ما دام يتفق مع العقيدة الصحيحة ، وما دام يتفق مع وجهة النظر الفقهية الصحيحة ، فمثلاً : نحن ننظر بإيجابيات كبيرة إلى حركة جماعة الدعوة والتبليغ على اعتبار أن هؤلاء يركِّزون ويذكِّرون فى قضايا لا يستطيع أحد أن يمنعهم منها ، وهم فى الوقت نفسه يُعمِّقون قضايا تحتاج إلى تعميق فى هذا العالَم ، فيركِّزون عليها أكثر من غيرها ، فمثل هذا الاتجاه بحد ذاته نعتبره رافداً قوياً ويخدم الإسلام بشكل قوى ، على أنه وحده لا يكفى ، فإذا وُجِد بجانبه غيره وغيره مما يكمله ، يكون ذلك عملاً جيداً .

القضية الخطيرة هى قضية أن تكون التناقضات بين وجهات النظر داخل التيار الإسلامى عاملاً من عوامل تلاشى هذا التيار أو تمزقه ، هذا هو الشىء الخطير ، فإذا استطاع المسلمون على اختلاف وجهات نظرهم أن يحافظوا على أُخوتهم وأن يستشعر كل منهم أنه يكمل الآخر وأنه يقوم بدور لا يقوم به غيره ، فما دام المسلمون محافظين على هذا الإخاء وعلى هذا الوعى ، فنحن ننظر إلى كل مَن يرفد العمل الإسلامى باحترام .

ونحن ندين العقلية التى تريد أن تقضى على كل عمل إسلامى إلا عملها ، هذه العقلية عقلية خاطئة على اعتبار أن كثيراً من الموجود يخدم فى القضية الرئيسية ، وهى قضية تعميق « لا إله إلا الله » فى الأرض ، وتعميق اليقين بهذا القرآن وبهذا الدين ، ولو أننا ألغينا كثيراً من الاجتهادات الإسلامية

من أجل اجتهاد واحد لما استطعنا أن نحل محل هذه الاجتهادات ، وبالتالى يضعف الإسلام نتيجة لذلك .

فمن هنا نقول : إن أى جهد إسلامى يصب فى خدمة الإسلام يجب أن ننظر إليه بإيجابية وأن ننظر إليه باحترام ، ولا نتصور إطلاقاً أنه يمكن فى هذا العصر المعقَّد أن تذوب الاجتهادات الإسلامية لصالح اجتهاد واحد ، نتمنى ذلك . . ولكن هذا غير ممكن .

وإذن فالسلبيات فى العمل الإسلامى الذى لا يشذ عن العقائد الصحيحة وعن الفقه الصحيح تكمن فى عدم وجود الوعى والإخاء . فنحن لا نرى سلبية فى تعدد العمل الإسلامى وتعدد الاجتهادات الإسلامية ما دامت العقائد صحيحة والأعمال مستقيمة » .

* * *

الفصل الثانى

سقف مرتفع وجهة مستشرفة

إننا نواجه فى هذه المرحلة أشد أنواع المكر ، إن مكر الكافرين فى كل وقت شديد ، ولكن يبدو لى أنه فى هذه المرحلة أشد .. ﴿ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ (١) .

إننا نشهد مرحلة تطبيق نتائج الحوار الاستراتيجى بين الأُمم الكافرة ، ونشهد تلاحم الصليبية والشيوعية فى بعض الأماكن ، ونشهد حرباً معلنة أو خفية للتطبيق الإسلامى فى مستواه الشخصى أو العام ، هذا بعض ما يطفو على السطح .

إن الدوائر التى تخطط ضد الإسلام أدركت أنها خسرت الجولة الفكرية ضد الإسلام ، وهى تكابر إذ تتابعها ، ولذلك فإنها ستعتمد أسلوب المكر والخداع والضغوط على الحكومات الإسلامية ليحل ذلك محل الصراع المستند إلى أرضية فكرية ، ونحن لا نستطيع أن نقابل ذلك إلا بسقف مرتفع عند الدعاة ، وإلا باستشراف كامل للساحة الإسلامية والعالَمية - سياسياً واقتصادياً ودعوياً - بقدرات هائلة على التجميع والتثقيف والتوعية ، وبقدرات هائلة على جعل السلبيات إيجابيات ، وأن تكون حركتنا السياسية مكافئة للمكر الخفى ضدنا ، وأهم شىء فى ذلك أن نُفوِّت الفرصة على الكافرين بأن يجرونا إلى صدام شامل مع كل أنظمة الحكم فى العالَم الإسلامى - بلا استثناء - ليجعلوا كل أنظمة الحكم ضدنا ، إن كسر هذا الأسلوب الكافر من مهمات الجهات المستشرفة للساحة الإسلامية .

---

(١) إبراهيم : ٤٦

إنه بدون سقف مرتفع وبدون جهة مستشرفة على الأوضاع قد نخسر المعركة إلى أمد . . ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (١) .

إننا بحاجة إلى ارتفاع فى السقف الثقافى للدعاة ، وإلى ارتفاع فى سقف الخصائص ، وإلى ارتفاع فى سقف الالتزام ، وإلى ارتفاع فى سقف التخصص الدعوى ، وإلى ارتفاع فى سقف التخصص الحياتى ، وإن هؤلاء الذين ارتفعت سقوفهم فى كل هذه القضايا هم المؤهلون لاستشراف ساحة العمل الدعوى فى هذا العصر الخطير ، وهم المؤهلون للسير بالمسلمين فى الدروب المتعرجة التى يفرضها علينا الأعداء ، فالظاهر ضمن عالم الأسباب أنه لا نستطيع أن نواجه المرحلة إلا بسقف مرتفع وجهة مستشرفة ، يتبلور هذا الاستشراف عندها فى تحرك سياسى جاد وتخطيط مكافىء ، وبناء هياكل تنظيمية قوية قادرة على تجسيد المنطلقات وتحقيق الأهداف ، وتمتلك من الحكمة ما تُفوِّت به على أعداء الإسلام أى فرصة من المكر والإيذاء .

ولقد لخصنا هذه المعانى فى إجابة على مقابلة صحفية تمت فى المرحلة التى هيأنا فيها هذا الكتاب للطبع ، وهذه خلاصة إجابتنا على سؤال هذا نصه وهذا جوابه :

س : الصحوة الإسلامية حقيقة يعترف بها الخصم قبل الصديق ، والأستاذ صاحب تجربة عميقة فى العمل الإسلامى ولا بد أن يكون له رأى ، ورأى صائب فى هذه الصحوة ، كيف يراها الآن ؟ وكيف يتصورها فى المستقبل ؟ وما هى ملاحظاته عليها ؟ وما هى مقترحاته لترشيدها . . ؟

ج : إن الصحوة الإسلامية لا زالت قاصرة فى السقف والشمول ، صحيح أن رُوَّاد المساجد كثروا ، ولكن نسبة الذين وعوا حقائق الإسلام وواقع العصر قِلَّة من هؤلاء ، وما دام الأمر كذلك فإن الصحوة الإسلامية قابلة للإجهاض ، قد تتغير وسائل الأعداء ولكن لا زال الأعداء يفكرون ، ولا زالت القابلية

---

(١) الأنفال : ٣٠

للوقوع فى المطبات كثيرة ، ومن ههنا فقد يكون الواجب على أبناء الصحوة الإسلامية الآن أكبر منه فى أى وقت مضى ، وقد يكون الحذر مطلوباً فى هذه المرحلة أكثر منه فى أى مرحلة سابقة .

فلا شك أن الصحوة الإسلامية تهتم بها جهات متعددة فى هذا العالَم .

إن الذى نريده فى هذه المرحلة أشياء كثيرة :

أول ما نريده للصحوة الإسلامية هو أن يرتفع السقف لأبناء هذه الصحوة ، فالذى نرجوه لأبناء الصحوة الإسلامية هو أن يرتفع الواحد منهم بسقفه الذاتى ، والشيء الثانى الذى نرجوه من أبناء هذه الصحوة هى أن توجد العقلية المستشرفة على الأوضاع المحلية والعالَمية ، فإذا لم يحدث بالنسبة للصحوة الإسلامية أن امتلكت هاتين القضيتين - قضية الارتقاء بالسقف وقضية الاستشراف للأوضاع المحلية والعالمية - فإن الصحوة الإسلامية فى خطر .

عندما أقول : إنه مطلوب من الصحوة الإسلامية الاستشراف على الأوضاع المحلية والعالَمية ، فهذا يعنى بالضرورة أن يكون هؤلاء المستشرفون قادرين على إزالة التخوفات من الصحوة الإسلامية والحركة الإسلامية .

لا شك أن هناك تخوفاً عند جهات كثيرة من الصحوة الإسلامية ، هذا التخوف يظهر مثلاً فى الأرض الإسلامية بأشكال متعددة ، فالأقليات غير الإسلامية تخشى على نفسها من هذه الصحوة الإسلامية ، وأصحاب الآراء السياسية يخشون على أنفسهم كذلك من هذه الصحوة الإسلامية ، وكثير من الأنظمة يقال لها : إن الصحوة الإسلامية خطر عليها ، وإذن فالمستشرفون على الأوضاع المحلية والعالمية من أبناء الصحوة الإسلامية عليهم أن يُطمئنوا الأقليات غير الإسلامية على الأرض الإسلامية ، وعليهم أن يُطمئنوا أصحاب الاتجاهات السياسية ، فالصحوة الإسلامية تؤمن بفكرة التعددية فى العمل الحزبى والسياسى ضمن شروط .

وينبغى أن يُطمئنوا كثيراً من أنظمة الحكم لأنه ما دامت أنظمة الحكم هذه

تتعامل معهم بمعقولية فإنهم سيتعاملون معها بمعقولية ، وكما أن هؤلاء المستشرفين من أبناء الصحوة الإسلامية ينبغى أن يُطمئنوا جهات متعددة محلياً ، ينبغى كذلك أن يعرف العالَم بأن الصحوة الإسلامية ليست خطراً على الحضارة ، وليست خطراً إذا عرف كيف يتعامل معها ، فبعض الجهات الخارجية تتصور عندما يقال : إن الإسلام قادم ، أن التتار قادمون ، والواقع خلاف ذلك ، فكما أن الحركة الإسلامية قديماً كانت عاملاً من عوامل نمو الحضارة ، فكذلك الصحوة الإسلامية ستحاول أن تحتفظ بكل أسباب التقدم المدنى .

وهناك جهات خارجية تخشى على مصالحها من الصحوة الإسلامية ، وهذا ليس صحيحاً ، فأبناء الصحوة الإسلامية عليهم أن يُعرِّفوا العالَم أنهم يستطيعون أن يتعاملوا مع العالَم كله مصالح بمصالح ، ويستطيعون أن يُقدِّروا تماماً مصلحتهم ومصلحة الآخرين المشروعة والمعقولة التى تتفق مع مصلحتهم . والشىء الخطير فقط عند أبناء الصحوة الإسلامية هو أن يتعامل العالَم معهم على أساس مبادىء بمصالح ، فعندما تريد دولة سواء أكانت شرقية أو غربية أن تفرض أنظمة أو أن تلغى الإسلام فهذا الشىء الذى يخشاه أبناء الصحوة الإسلامية ، أما إذا كانت المسألة مصالح بمصالح فهذا مقبول لدى أبناء الصحوة الإسلامية .

المهم أن أبناء الصحوة الإسلامية عليهم أن يُزيلوا هذا التخوف من أذهان كثير من الجهات .

إذن فالمطلوب من القائمين على الصحوة الإسلامية - الشىء الأول : هو الارتقاء بسقف أبناء الصحوة الإسلامية بالسقف الثقافى والأخلاقى والتربوى والتخصص الدعوى والحياتى ، وكما أن عليهم أن يرتفعوا بالسقف لكل فرد من أبناء الصحوة الإسلامية ، فعليهم أن يرتفعوا بسقف كل فرد من أبناء الإسلام ، وعليهم كذلك أن يُوجِدوا المستشرفين على الساحة المحلية

والعالَمية ، وهؤلاء الناس - الذين أسميتهم المستشرفين على الأوضاع المحلية والعالمية - عليهم أن يبذلوا جهوداً كبيرة فى إزالة تخوفات كثيرة سواء أكانت قائمة على الأرض الإسلامية أو كانت موجودة فى الخارج وهى ليست صحيحة أصلاً .

* * *

الفصل الثالث

التيَّارات الإسلامية يجب أن تتكامل
بدلاً من أن تتعارض

إن هناك تيارات إسلامية رئيسية فى الأُمة الإسلامية ، فهناك تيار الإخوان المسلمين وأمثالهم ، وهو التيار الذى تصدَّى لتحمل مسئولية إقامة الإسلام كله ، وتصدَّى للصراع مع أعدائه .

وهناك تيار جماعة الدعوة والتبليغ وأشباهه ، وهو يشتغل ضمن الحد الذى يُبقى معالم الإسلام موجودة وشعائر الإسلام قائمة ، وقد وصل فى كثير من الأمكنة إلى نتائج ملموسة وثمراته فى كل مكان لا تخفى على المنصف .

وهناك تيار سَلَفى أصبح له وجود فى كل مكان ، وهو آيل فى النهاية إلى أن يشكل حركة منظمة .

وهناك تيار صوفى موجود فى كل مكان ، وبين أهله تعاطف ، وهناك محاولات لتجميع هذا الصف وتنظيمه وتوجيه طاقاته .

وهناك تيار إسلامى حكومى يؤدى دوراً مهماً فى خدمة الإسلام .

وهناك التيار العلمى الذى يتمثل فى جامعات ومعاهد ومدارس وحلقات بيتية ومسجدية ، وهو يؤدى دوراً هائلاً فى خدمة الإسلام .

وتحاول الدوائر المخططة ضد الإسلام أن تضرب هذه التيارات بعضها ببعض ، وتجعل الجهود الإسلامية تستفرغ طاقاتها بالصراع مع بعضها . .

وإن من مهمات الجهة المستشرفة التى أشرنا إليها أن تجعل هذه التيارات

تتكامل ولا تتناقض ، وهذه قضية تحتاج إلى جهود كثيرة من أُناس أُوتوا حكمة وبصيرة ، يعرفون فيها إيجابيات كل تيار ، ويصححون فى كل تيار ما يحتاج إلى تصحيح ، ويعممون الفكر المشترك الذى يصلح أن يكون قاسماً مشتركاً بين الجميع .

ونحن نعتقد أن أصول الفهم العشرين التى ذكرها الأستاذ البنا فى رسالة التعاليم تصلح أن تكون أساساً لفهم مشترك بين هذه التيارات كلها وإن اختلفت اجتهاداتها فى أساليب العمل وفى طرقه .

إن تيار الإخوان المسلمين واضح الخدمة ، وهو بحاجة إلى تقوية هيكله التنظيمى ومراجعة خططه فى كل قُطر ، فكل قُطر يحتاج إلى خطة خاصة به ، والإخوان المسلمون بحاجة إلى تحرك سياسى يبحثون فيه عن الحليف ، ولا يتناقض هذا مع صفاء الولاء الذى يحرصون عليه .

والتيار الصوفى الفقهى يؤدى خدمة واضحة فى استمرار الإسلام وبقائه ، وهو بحاجة إلى مزيد من الالتزام بعقائد أهل السُّنَّة والجماعة وإلى مزيد من التركيز على العلم ونبذ لكل ما يتناقض مع آراء الفقهاء .

وإن للتيار السَلَفى خدمة كبيرة للسُّنَّة ونشرها ، وعليه أن يزيد من توقيره للأئمة والمذاهب الفقهية ، ويحترس من التضليل والتكفير فى غير محلهما ، فليس كل مُؤوِّل ضالاً ولا كل مُفوِّض كافراً ، فهذا طريق إن سُلِك لم يبق عالِم إلا وقد أُدخل فى دائرة الكفر والضلال . وليعلموا أن فى العقيدة كما سُجِلت فى كتبها فروعاً ، كما فى الفقه فروع ، وأن الاختلاف فى الفروع ليس سبباً للشقاق والتضليل .

والتيار الإسلامى الحكومى يقوم بدور كبير فى بقاء الإسلام وخدمته ، وقد يختلط بشوائب ، ولكن الشكر على الخدمة الإسلامية واجب ، ولنا الظاهر الذى لا ينقضه يقين معاكس ، وقد يكون سبب النكران من بعض الناس لهذا الجهد أنه قليل بالنسبة لما يُستطاع .

والتيار العلمى على غاية من الأهمية ، فهو مشكور ومَن وراءه مشكورون.

وجماعة الدعوة والتبليغ يقومون بدور لا يقوم به غيرهم .

وهكذا نجد أن كل تيار من التيارات الإسلامية له إيجابيات يتكامل بها البناء الإسلامى .

فالفطنة إلى الإيجابيات هى مهمة الدعاة ، والفطنة إلى تعميق السلبيات وإيجاد الحُجُب بين التيارات هو مهمة الأعداء .

ولجعل العمل الإسلامى يتكامل فإن وجود طبقة مهمتهم التقريب بين التيارات واجب من واجبات العصر ، كما ينبغى على التيارات الإسلامية أن تعطى الحرية لأبنائها أن يتعاونوا مع غيرهم على الخير ، وقد فطن المؤسسون الكبار لهذا المعنى ، فالشيخ إلياس مؤسس جماعة التبليغ وإخوانه يدفعون مَن يلتزم بهم أن يتفقهوا على العلماء ، وأن يتربوا على أيدى المربِّين ، وحسن البنا رحمه الله مؤسس جماعة الإخوان المسلمين لم ير حَرَجاً فى نفسه أن ينتسب إلى شيوخ أو إلى جمعيات ، وقال لإخوانه : ومَن أراد أن يختار تربية خاصة فهو وما يختار ، ورسالة الأستاذ البنا إلى الشيخ أبى النصر خلف ، شيخ شيخنا الشيخ محمد الحامد ، معلناً انتسابه إليه لا زالت محفوظة .

إنَّ الداعية إلى الله يحرص على أى منبر يُتاح له ، وصلات الإسلاميين فيما بينهم تساعد على ردم الهوة بين الإسلاميين ، ولكل تشكيل أن يحصن نفسه وإخوانه مبيناً أن اجتهاده هو الأقوى والأنسب دون أن يكون فى ذلك طعن فى الآخرين .

إنَّ الصحوة الإسلامية الحديثة كانت ثمرة لجهود كل التيارات الإسلامية والعاملين للإسلام وقد أدى كل منهم دوره فجزاهم الله خيراً . .

وكما أنَّ ما تم كان بجهودهم جميعاً ، فإن واجبهم فى هذه المرحلة جميعاً أن يزيدوا من تلاحمهم ومن حبهم لبعضهم ، وأن تعرف كل جهة أن غيرها يكمل عملها ، فهى تعرف لغيرها أهميته وتشكره على أن كفاها مؤونة بعض الثغرات . . « ولا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذو الفضل » .

ونقول للغلاة كما قال الشاعر :

أقِلُّـوا عليهـــم لا أبـــا لأبيكـــم   من اللوم أو سدوا المكان الذى سدوا

على أننا وإن كنا ندعو إلى أن تعرف كل جهة فضل الجهات الإسلامية الأخرى ، فهذا لا يمنعنا من أن نُقيِّم التقييم الصحيح لعطاء أى جهة ، معترفين أن تقييمنا قابل للخطأ والصواب .

وقد أجبنا على سؤالين فى مقابلة صحفية نسجل إجابتينا عليهما :

السؤال الأول : لما كانت الصحوة الإسلامية حقيقة واقعة ، فهل يرى فضيلة الأستاذ فضلاً فى هذه الصحوة لقطر على قطر أو لجنس على جنس ؟

ج : عندما نستعرض الأسماء اللامعة التى أثَّرت بشكل ما لإيجاد الصحوة الإسلامية الحديثة فلا بد أن نُذكِّر بما يلى :

سقطت الخلافة العثمانية عام ١٩٢٤ ولنا تحليلنا لأسباب هذا السقوط مما لا مجال لذكره ههنا ، ونحن نعتبر أن سقوط الخلافة هو أدنى مرحلة وصل إليها الإسلام عملياً ونظرياً ، سواء على مستوى الاعتقاد أو على مستوى العبادة أو على مستوى التطبيق التشريعى .

ومنذ سنة ١٩٢٤ بدأت كثير من الاجتهادات الإسلامية تعمل عملها داخل المجتمع الإسلامى مما أدَّى فى النهاية إلى صحوة إسلامية ، ومع أننا لا نستطيع أن نفصل بين العمل الإسلامى الذى حدث بعد عام ١٩٢٤ عن العمل الإسلامى الذى كان موجوداً من قبل ، فإنه لم تمر مرحلة من المراحل إلا ووُجِدَ فيها أعلام كبار ساهموا فى قيادة العمل الإسلامى وحاولوا بشكل من الأشكال أن ينهضوا بمجد الإسلام : لا ننسى الحركة المهدوية فى السودان التى تسمى حركة الدراويش ، ولا نستطيع أن ننسى الحركة السنوسية ، ولا ننسى ما قامت به الحركة الصوفية سواء ظهرت بالطريقة النقشبندية مثلاً أو بغيرها ، ولا نستطيع أن نهمل اسم الشيخ شامل النقشبندى الذى قاد كفاحاً طويلاً لمدة ٤٠ سنة فى

الأرض الإسلامية فى الاتحاد السوفييتى ، ولا نستطيع أن نهمل اسم الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

ولذلك نقول : إنه قبل سقوط الخلافة لم تخل الأرض الإسلامية من عاملين للإسلام ، ولكن بعد سقوط الخلافة العثمانية نستطيع أن نقول : إن الاجتهاد الأقوى الذى أثَّر على تفكير العالَم الإسلامى هو الاجتهاد الذى قدَّمه الأستاذ حسن البنا رحمه الله ورسَّخه ووضع قواعده وأُسسه ، هذا الاجتهاد تمثَّل بفهم يمكن أن يجتمع عليه المسلمون وتمثَّل بنظرية تنظيمية وتربوية وتمثل بمواقف حركية ، هذا الاجتهاد بحد ذاته كان له أثره الكبير ، بل نستطيع أن نقول : إن ميلاد الصحوة الإسلامية الحديثة بدأ عندما بدأ الأستاذ البنا رحمه الله دعوته ، ذلك أنه هو الذى أعاد إلى الأذهان فكرة شمول الإسلام وفكرة عالميته وضرورة الدعوة إليه ، وأن تكون هذه الدعوة منظّمة ، وعندما نقارن بين دعوة شاملة كدعوة حسن البنا ودعوة شاملة كدعوة أبى الأعلى المودودى فإننا نرى بأن حسن البنا كان متقدماً فى الزمن على الأستاذ أبى الأعلى المودودى ، من هنا فلا شك أننا نعتبر أن مصر وما جرى فيها من تفاعلات كانت هى رائدة العمل الإسلامى الحديث الذى كان له آثاره الكبيرة على الصحوة الإسلامية ، وعندما نقول هذا الكلام لا نلغى أدواراً كثيرة لجهات كثيرة كل منها كان له دوره فى الصحوة الإسلامية ، فنحن لا ننسى أنه فى كل مكان قام دعاة كبار وعظام استطاعوا أن يجددوا الإسلام ، ولكن فى المقايسة فإننا نعتبر أن دعوة الأستاذ البنا كان لها الدور الأكبر ومصر كان لها الدور الأكبر ، ولكن لا نستطيع أن نهمل دور رجل عظيم كبير مثل الشيخ سعيد النورسى رحمه الله فى تجديد الإسلام فى تركيا .

وهكذا فإن هناك كثيرون شاركوا ولكن يمكن القول : إن مصر بالأستاذ البنا كان لها دور متميز سواء من حيث الفكر أو من حيث الأشياء الضرورية التى تحتاجها الحركة الإسلامية الحديثة التى كان لها أثر كبير على الصحوة الإسلامية ، وأن دعوة البنا هى التى تمثل العمود الفقرى الذى قامت عليه الصحوة الإسلامية الحديثة .

السؤال الثانى : مضى على نشوء بعض الحركات الإسلامية كالإخوان المسلمين ستة عقود ، وبهذه المناسبة نريد من الأستاذ سعيد أن نسمع رأيه فى مسيرة هذه الحركة بعد مضى ستين عاماً على نشوئها ؟

ج : الجواب عن هذه القضية يمكن أن يكون من خلال التمييز بين عدد من القضايا ، فقد نجحت حركة الإخوان المسلمين وشبيهاتها من الناحية الفكرية نجاحاً منقطع النظير ، وكانت رائدة فيه ، فحركة الإخوان المسلمين من الناحية الفكرية استطاعت أن تقهر كل الفكر الغريب الوافد المعادى للإسلام ، بل استطاعت أن تنهى هذا الفكر إلى حد كبير فى الأرض الإسلامية ، بل نستطيع أن نقول : إنه من الناحية الفكرية أثَّرت على كثير من الاتجاهات الفكرية فى العالم الإسلامى فجعلتها تُحجِّم نفسها لصالح فكر الإخوان المسلمين .

لقد ورث الإسلاميون فى العالم ثقافة إسلامية متوارثة لم تكن وحدها كافية للرد على الفكر الوافد الغريب ، فقد تمثَّل هذا الفكر الغريب بنظريات وأنظمة ، وتمثَّل بفلسفات ومناهج حياة ، ومن ثَمَّ فإن الإخوان يعتبرون رواداً بالنسبة لهذه القضايا فهم الذين استطاعوا أن يردوا على النظرية بمثلها وأن يردوا على الفكرة بمثلها والمنهاج بمثله والنظام بمثله . . وهكذا فإن الإخوان المسلمين استطاعوا إلى حد كبير أن يربحوا الجولة فى العالم الإسلامى من الناحية الفكرية ، وبالتالى فإننا نستطيع أن نقول : إن النجاح الفكرى الهائل الذى حققته دعوة الإخوان المسلمين كان نجاحاً فعلياً وكبيراً وعظيماً .

وعندما ننظر إلى التأثير التربوى لحركة الإخوان المسلمين فإننا نستطيع أن نقول : إن نجاحهم الفكرى كان أكبر من نجاحهم التربوى ، لأنه لم يُتح لهذه الحركة أن تحقق نظرياتها التربوية فى أجواء صحية سليمة وآمنة ، مثلاً الأستاذ البنا يعتبر أن اجتماع الإخوان المسلمين على قراءة المأثورات ينبغى أن يكون يومياً صباحاً ومساءً ، فلو أن هذه القضية وحدها مثلاً كان الإخوان المسلمون يستطيعونها لكان تأثيرها فى تربيتهم كبيراً جداً .

إن الإخوان المسلمين نتيجة للظروف التى عانوها فى كثير من الأمكنة لم يستطيعوا أن يحققوا نظرياتهم التربوية ولذلك فإن نجاحهم الفكرى كان أكبر من نجاحهم التربوى .

وإذا نظرنا إلى تأثير الإخوان المسلمين على الشارع السياسى وعلى القضايا التطبيقية فإننا نجد نجاحاً إلى حد ما .

لقد وجدنا فى المرحلة التى نحن فيها أن فكرة البنوك اللاربوية مثلاً أصبحت موجودة ، وهذا نعتبره نجاحاً تطبيقياً لدعوة الإخوان المسلمين .

لقد أصبحنا نسمع أن وزراء العدل العرب فى اجتماعاتهم يقررون تطبيق الشريعة الإسلامية .

لقد أصبح مطلب تطبيق الشريعة الإسلامية مطلباً عاماً فى الشارع الإسلامى وهذا ما نستطيع أن نعتبره نجاحاً سياسياً .

لقد بدأت المرحلة التى أعقبت سقوط الدولة العثمانية بنوع من العَلمانية ، وكان المخططون للعالم الإسلامى يفترضون أنه ستأتى مرحلة تعم فيها العَلمانية ، بينما نجد الآن أن كثيراً من الدساتير فى العالم الإسلامى لم تستطع أن تتجاهل فكرة أن دين الدولة : الإسلام ، وهكذا نستطيع أن نقول : إنه من الناحية السياسية استطاع الإخوان المسلمون أن يؤثروا سياسياً فى مجريات الأحداث فى العالم الإسلامى ، واستطاع قسم كبير من الناس الذين تأثروا بحركة الإخوان المسلمين أن يصلوا إلى مراكز السُلْطة وإن لم يطبقوا كل ما أراده الإخوان المسلمون . أما النجاح السياسى الكامل وهو وصول الإخوان المسلمين إلى الحكم وتطبيقهم ما يدعون إليه من خلال الحكم فهذا لم يستطع الإخوان المسلمون حتى الآن أن يفعلوه ، وبالتالى نستطيع أن نقول : إن نجاحهم السياسى كان نسبياً .

فإذن نحن لا نستطيع أن نُقيِّم حركة الإخوان المسلمين من خلال نظرة جزئية ، بل يجب تقييمها تقييماً شاملاً من خلاله ، نقول : ما هو الشىء

الذى نجحت فيه حركة الإخوان نجاحاً كاملاً أو نجاحاً أدنى من ذلك أو لم تنجح فيه .

على كل حال لا يستطيع أى إنسان فى العالم أن يتجاهل دور حركة الإخوان المسلمين فى مجريات الأمور فى العالم قاطبة ، ولا أقول فى العالم الإسلامى وحده ، ونحن نرجو لحركة الإخوان المسلمين أن تتعالى على مآسيها وعلى جراحها ، وأن تُقيِّم المراحل السابقة كلها وتُقيِّم ما حدث بينها وبين الآخرين ، وأن تُقيِّم الآخرين تقييماً دقيقاً ، ونرجو إن شاء الله أن يكون عطاؤهم فى المستقبل موجوداً وأن يكون نجاحهم كاملاً .

* * *

الفصل الرابع

درجات العضوية

قلنا إن أهم احتياجات المرحلة سقف مرتفع وجهة مستشرفة ، وكلاهما مرتبط بالآخر ، فالجهة المستشرفة هى التى يفرزها السقف المرتفع ، ومن ههنا كان أهم ما تقتضيه المرحلة هو البحث عن الوسيلة التى يوجد فيها السقف المرتفع ، ويوجد فيها القيادات المركزية المستشرفة التى تنبثق عن أصحاب السقوف المرتفعة .

الوسيلة الطبيعية لإيجاد السقف المرتفع فى التخصص الحياتى هى الدراسات الرسمية الاكاديمية فهذه يجب أن ندفع إليها وإلى كل تخصص منها بكامل ما نستطيع .

أما السقف المرتفع إسلامياً فطريقه هو الارتقاء بدرجات العضوية كمّاً وكَيفاً .

وعن أعلى طبقة فى درجات العضوية ينبغى أن تنبثق القيادات المركزية .

وعندما نتحدث عن الارتقاء بدرجات العضوية كمّاً وكيفاً ، فإنما نقصد أن نزيد فى عدد درجات العضوية وأن نجعل لكل درجة مواصفات أوسع مما كنا نعتمده من قبل .

وإذا كان الانتماء لحزب الله على نوعين انتماءً عفوياً وانتماءً تنظيمياً فالعبرة بالمضمون ، فالانتماء التنظيمى يمكن أن ينص صراحة على درجات العضوية وعلى مواصفاتها ، وأصحاب الانتماء العفوى يمكن أن يلحظوا ذلك فى أنفسهم وفى إخوانهم ولو لم يُنَص على ذلك صراحة .

إنه لا بد للوارث للنبوة أن يميز بين المستجيبين للدعوة ، وهذه سُنَّة

الرسل ، فالناس ليسوا كلهم على درجة واحدة ، ففى حياة عيسى عليه السلام تجد الحواريين ، وفى حياة موسى عليه السلام تجد النقباء ، وفى حياة محمد ﷺ تجد الحواريين والنقباء والعرفاء والأمراء والمهاجرين والأنصار والأعراب ، وهكذا لا بد للدعاة أن يميِّزوا بين إخوانهم ولو تمييزاً قلبياً وإن كان للخطأ فيه محل إلا أنه بالإمكان إيجاد موازين تقلل نسبة الخطأ ولكن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن .

إننا ضمن عالم الأسباب علينا أن نوجد كل الأسباب التى تؤدى إلى ارتقاء المسلم ، إلا أن استعدادات الناس متفاوتة والقلوب لا يعلمها إلا الله ، فنحن لنا الظاهر والله يتولى السرائر ، إلا أننا نبذل غاية جهدنا فى تصحيح الظاهر والباطن بسلوك سبيل ذلك ، ونعطى للإنسان درجته فى العضوية بحسب قطعه مراحل السلوك العلمى والقلبى والسلوكى .

والاجتهادات مختلفة عند بعض المنظمات الإسلامية فى موضوع درجات العضوية ، ونحن نُفرِّق بين عمل إسلامى حزبى محض ، وبين عمل إسلامى يعتبر نفسه مؤتمناً على أسرار الشريعة ، فالعمل الحزبى المحض لا يحتاج إلا إلى بعض الأمر ، أما العمل الإسلامى المؤتمن على أسرار الشريعة فيجب أن ينتقل فيه العضو من درجة إلى درجة ، ونظن أن المرحلة الحاضرة تقتضى درجات متقدمة فى العضوية ، فمثلاً بعض الحركات الإسلامية عندها أنصار وأركان ، وبعض الحركات الإسلامية عندها منتسبون وعاملون ، وبعض الحركات الإسلامية عندها منتسبون وعاملون ونقباء .

ونحن نُفضِّل أن تكون درجات العضوية سبعة ، ينبثق عن الدرجة السابعة القيادات المركزية على مستوى محلى أو عالمى ، ولكل درجة من الدرجات السبع ثقافتها وخصائصها والتزامها .

فإذا ما اجتمع لإنسان مع هذا تخصص حياتى راق يكون قد وجد الكمال الدنيوى والأخروى .

والدرجات السبع التى نقترحها نعطيها تسميات ولا نشترط أن يُتقيَّد بهذه التسميات ، والعبرة عندنا للمضمون ، والتسميات التى نقترحها :

أولاً : محب مستمع . ثانياً : منتسب . ثالثاً : عامل . رابعاً : نقيب . خامساً : ركن . سادساً : داعية . سابعاً : أستاذ .

ولكل درجة خصائصها وثقافتها والتزاماتها ، وعن الأساتذة تنبثق القيادات المركزية فيضم الجميع نظرية فى الشورى والحقوق والواجبات ضمن إطار مكتوب .

ومن أول الحقوق أن الدرجة الأعلى يكون لها حق الإشراف على درجة أدنى .

وفى فهم مجرَّد للنصوص نستطيع أن نحدد لدرجات العضوية الفطرية فى حزب الله بعض الملامح :

أولاً – درجة المحب المستمع :

وهى الدرجة الأولى فى التسلسل ، والمحب له كرامته عند الله : « يُحشر المرء مع مَن أحب » ، وهذا يقتضى تحديد المحبوب ، وهم : الله والرسل وأتباعهم وأصحابهم وإخوانهم والأولياء والصدِّيقون والشهداء والصالحون ومن هم مظنة أن يكونوا من حزب الله ومن الطائفة ، وتتداخل بعض هذه الصفات ببعضها ، ونلاحظ فى هذه الدرجة أن علينا أن نجعل الفرد ضمن الأسباب التى تورث المحبة وهى حضور الاجتماعات على الذكر والعلم بانتظام ، والتزام ورد يومى مهما كان قليلاً على أن يكون سهلا ، فمجرد التزام الإنسان بحضور الاجتماعات الإسلامية القائمة على الذكر والعلم ، والتزامه بورد يومى يجعلانه من أهل الدرجة الأولى وهو المحب المستمع ، فمن المعَروف أنه مَن لازم اجتماعات قوم وشاركهم فى أورادهم أحبهم .

وحضور الاجتماعات وملازمة الأوراد شيئان ثابتان لكل درجة من درجات العضوية ، بل إننا نضع قاعدة أن خصائص كل درجة والتزاماتها يجب أن تستمر فيكون الأعلى متحققا بها ومتحققاً فيما سواها .

*

ثانياً – درجة المنتسب :

أما المنتسب فيُطالَب بثقافة محددة وخصائص والتزامات أخرى . أما ثقافة هذه الدرجة فتتلخص بمحاولة الوصول إلى معرفة العلوم المطلوبة طلباً عينياً .

والاجتهادات تختلف فى هذا الموضوع ، ولقد سجلنا اجتهادنا فى رسالة « غذاء العبودية » ورسالة « فلنتذكر فى عصرنا ثلاثاً » . وخلاصة ذلك ما سجلناه فى إجازة المرحلة الأولى فى العلوم الشرعية كما وردت فى كتابنا « غذاء العبودية » .

وأما خصائص هذه المرحلة فهى ما ذكره الله عَزَّ وجَلَّ فى سياق آيات الرِّدَّة من سورة المائدة : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ ويُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (١) .

وأما التزامات هذه الدرجة فإقامة الفرائض وترك المحرَّمات مع ورد يومى من الذكر المأثور وحضور الاجتماعات الأسبوعية : « فمن كثَّرَ سواد قوم فهو منهم » .

*

ثالثاً – درجة العامل :

وثقافتها فى اجتهادنا دراسة الأصول الثلاثة مع دراسة كتاب « جند الله . . ثقافة وأخلاقاً » و« جند الله . . تخطيطاً » .

وأما خصائصها : فهى ما ورد فى آيات الرِّدَّة فى سورة المائدة فى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ منكُمْ عَن دينه فَسَوْفَ يَأْتِى اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّة عَلَى الْمُؤْمنينَ أَعِزَّة عَلَى الْكَافرينَ يُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِم ، ذَلكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتيه مَن يَشَاءُ ، وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * انَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ

(١) المائدة : ٥٥

رَاكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [1] ، وقد فصَّل فى ذلك كتاب « جند الله .. ثقافة وأخلاقاً » .

وأما التزاماتها : فالحركة لدعوة الناس إلى حضور الاجتماعات الإسلامية المنتظمة مع ملازمة الحضور ومحاولة إيجاد حلقات إسلامية بيتية أو مسجدية ما أمكن ، والالتزام بمزيد من الأوراد بحيث يكون للمسلم والمسلمة ورد من الذكر ، وورد من تلاوة القرآن ، وورد من حفظ القرآن ، وورد فى المطالعة ، وورد من الرياضة .

*

رابعاً – درجة النقيب :

وثقافتها : ما ورد فى إجازة المرحلة الثانية فى العلوم الشرعية كما وردت فى رسالة « غذاء العبودية » .

وخصائصها : ما ورد فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا عِندَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ * وَالَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ * وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ، فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ ، إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ [2] .

والتزامات هذه الدرجة : كالتزامات ما قبلها ، ولكن يركز على التزام الإنسان بالشورى ضمن نظرية الشورى التى يتعارف عليها إخوانه .

*

(١) المائدة : ٥٤ – ٥٦

(٢) الشورى : ٣٦ – ٤٣

خامساً – درجة الركن :

وثقافتها : ما ورد فى إجازة المرحلة الثالثة فى العلوم الشرعية كما وردت فى رسالة « غذاء العبودية » .

وخصائصها : الصفات الرئيسية للرسل : الصدق والأمانة والتبليغ والفطانة .

والتزاماتها : حمل النفس على المطاوعة بالمعروف .

*

سادساً – درجة الداعية :

وثقافتها : بعض ما ورد فى إجازة المرحلة الرابعة للعلوم الشرعية كما يحدده الأستاذ المشرف .

وخصائصها : التأكيد على الحلم ومراعاة الحكمة .

والتزاماتها : الذكر الكثير بكل أنواع الذكر المطلقة والمأثورة .

*

سابعاً – درجة الأستاذ :

وثقافتها : إجازة المرحلة الرابعة فى العلوم الشرعية كما وردت فى « غذاء العبودية » .

وخصائصها : ما ورد فى قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (1) .

والتزاماتها : قوة الارتباط مع إخوانه وحسن التعامل مع القيادات التى تنبثق عن الإخوة الأساتذة ، سواء على مستوى محلى أو مستوى عالمى على حسب النظرية التنظيمية المعتمدة .

* * *

---

(1) التوبة : ١٢٨

الفصل الخامس

الانتخاب والتعيين والنظرية التنظيمية

إنه نتيجة لما حدث فى التاريخ الإسلامى من استبداد سياسى وتبذير فى أموال الأُمَّة ووصول كثير من الناس إلى سُدَة القيادة من دون كفاءة ، وعدم مراعاة رضا الأُمَّة وثقتها جعل المسلمين يتطلعون تطلعاً غامضاً إلى فكرة الدساتير والأنظمة والقوانين ، وتأطير الطريقة التى يتم بها بروز القيادات ، وفى الحركات الإسلامية الحديثة ظهرت اجتهادات شتَّى ، وفى أنظمة العالَم الإسلامى ظهرت صور متعددة ، ولا شك أن التطلعات الغامضة وتأثر العالم الإسلامى بما يجرى حوله أثَّر كثيراً فى مجريات الأُمور .

إن هناك صوراً عديدة فى العالَم تنبثق عنها القيادات العليا للتجمعات ، وكل صورة من هذه الصور تترك آثارها بشكل ما على المجتمع الإسلامى ، بل لعل أكثر الصور التى يفكر فيها المسلمون والإسلاميون متأثرة بشكل ما بنظام من الأنظمة الدينية أو الدنيوية ، ونحن لا نهمل الاستفادة من التجارب التى تمر بها البشرية ، لكن لا بد من أن نُصفِّى هذه التجارب فلا نعتمد منها إلا ما وافق النصوص إن وجدت ، أو المصلحة إن لم توجد النصوص ، وينبغى أن يُلاحَظ فى الحالة الثانية واقعنا .

هناك تجربة الأحزاب فى العالَم ، وهناك تجربة بعض المؤسسات الدينية ، ولعل من أبرز تجارب المؤسسات الدينية تجربة الكنيسة الكاثوليكية فى إيجاد هيكل كهنوتى وإيجاد طريقة ينبثق عنها القائد الأعلى لهذه الكنيسة .

لقد درج الإسلاميون على التهجم على النظام الكهنوتى فى كثير من أصوله

وفروعه ، ولا شك أن النظام الكهنوتى الذى يعطى البابا العصمة ويعتمد كرسى الاعتراف بعيد عن الفكر الإسلامى ، ولكن فكرة التدرج بمراتب العضوية وفكرة انبثاق القائد الأعلى للكنيسة فكرتان جديرتان بالتأمل فى أوضاعنا المعاصرة ، فلقد استطاعت الكنيسة بنظامها الكهنوتى المتدرج أن تصل إلى طبقة محدودة العدد هم الكرادلة ، وهؤلاء وحدهم ومن بينهم ينتخبون البابا ، والبابا عندهم إذا انتُخِب يبقى فى منصبه حتى يموت ، وعندئذ يجتمع الكرادلة ، فلا ينفضون حتى ينتخبوا بابا جديداً .

وإنَّا وإن صدمنا الحس الإسلامى بمقارنتنا هذه ، فإننا نعتقد - مع الفارق فى التشبيه - أن هذه الصورة شبيهة بالصورة التى اعتمدها عمر رضى الله عنه وهو على فراش استشهاده من حيث أنه أعطى حق اختيار الخليفة لأعلى طبقة فى حزب الله فى عصره ، وهؤلاء انتخبوا منهم خليفة مدى الحياة ، فلقد حصر عمر رضى الله عنه المؤهلين أكثر من غيرهم للخلافة آخذاً ذلك من النصوص التى وردت فى خصيص العشرة المبشَّرين بالجنة بالذكر ، فطلب من هؤلاء أن ينتخبوا من بينهم واحداً منهم ليكون خليفة .

نحن لا نستطيع أن نحدد صيغة للمستقبل لكيفية إعادة نظام الخلافة مرة ثانية إلى العالم الإسلامى ، ولكن هناك تعامل مع واقع يضطرنا إلى أن نوصى الجماعات الإسلامية ألا تسمح - بشكل من الأشكال - أن تنزل بانتخاب الأمير الأعلى للجماعة على مستوى محلى أو مستوى عالمى فتعطى هذا الحق لمستوى أدنى من مستوى الأستاذة سواء بشكل مباشر أو غير مباشر .

فهذا وحده هو الذى يُبقى الأصالة الإسلامية ويجعل رأس الأمر مظنة ائتمان على آداب الشريعة .

والأصل فى العمل الحزبى هو الانتخاب ، ونتمنى أن تراعى فيه الثقافة والخصائص والالتزام والتخصص ، إلا أن العمل الحزبى يُلحظ فيه القوة على الإدارة والقوة على معالجة الأمور ، فبابه أوسع .

ولا شك أن أى هيئة أو تجمع أو مؤسسة تحتاج إلى نظرية تنظيمية تختلف باختلاف طبيعتها ، والمفروض أن تكون كل هيئة أو مؤسسة أو تجمع قادراً على تطوير نظريته التنظيمية .

نحن لا نستطيع أن نفترض افتراضاً خيالياً صوراً للتجمعات ونعطى كل صورة صيغة تنظيمية .

إن الانتقال من الفكرة الغامضة إلى النظام المكتوب الذى تصقله التجربة وتثبت الأيام أنه كان مناسباً لما وضع له يحتاج إلى جهد كبير وعبقرية فذَّة ، وإلى توفيق إلهى أولاً وآخراً ، وفى حركة كحركة الأستاذ البنا رحمه الله أرادها أن تكون شاملة : فيها الجانب الدعوى وفيها الجانب التعليمى وفيها الجانب السياسى وفيها الجانب المالى ، كما أرادها أن تكون عالمية ، إن الهيكل التنظيمى لمثل هذه الجماعة من أصعب الأمور ، فهناك تجارب محلية وهناك تجربة عالمية ، والعمل السياسى يحتاج إلى أُطُر تناسبه ، والعمل التعليمى يحتاج إلى أُطُر تناسبه ، ولا شك أن تجربة الجماعة كبيرة ، وهى الأقدر على الاستفادة من تجربتها ، خاصة وقد مرَّت بظروف متعددة ، ووُجِدَت فى أقطار متعددة .

إنه يجب أن توجد فى الأُمَّة الإسلامية عقول تستوعب التجربة العالمية والتاريخ الإسلامى والثقافة الإسلامية مع احتفاظها بفطريتها ، هذه العقول يجب أن تسهر على كل ما هو دستور ونظام وقانون ، وتحاول أن تقدِّم النموذج الأفضل لكل تجمع إسلامى ولكل دائرة عمل على المستوى الشعبى والحكومى .

لقد أثبتت التجارب أن الشئ المنطوق أثره آنى ، بينما الشىء المكتوب أبقى أثراً ، والعقل المنظم يغلب العقل الفوضوى .

* * *

الفصل السادس

الطاعة والشـــــورى

لقد رأيت أصنافاً من الناس كنت أتعجب منهم ، رأيت مَن يعامل زوجته كالأَمَة مفترضاً أن حق الطاعة الذى أعطاه الإسلام للزوج على الزوجة يجعلها أمَة بين يديه .

ورأيت فى بعض القيادات الإسلامية مَن يتعامل من أتباعه كعبيد ، مفترضاً نفسه أمير المؤمنين وأن له حق الطاعة المطلقة .

ورأيت مَن يستلب من المسلمين حق الشورى .

ورأيت مَن يطالب بالشورى على إطلاقها دون قواعد وضوابط ، وبعض الناس يضيعون الطاعة فى غمرة المطالبة بالشورى ، وبعضهم يضيع الشورى فى غمرة المطالبة بالطاعة ، والمطلوب هو المواءمة بين الشورى والطاعة على ضوء قواعد صحيحة معروفة .

فالشورى لا بد منها ، ولكن لكل دائرة شوراها ونظريتها الشورية التى تحكمها ، وإذا اتُفِق من خلال الشورى على قاعدة فإنه يجب الالتزام بها ، والطاعة منوطة بثلاثة أمور : الأمر الأول : الأحكام الشرعية ، والأمر الثانى : هو القواعد التى تنبثق عن الشورى والتى تحكم المتفقين داخل التنظيم الواحد ، والأمر الثالث : ألا يكون فى الطاعة ضرر بالمعايير الشرعية .

ولقد رأيت أناساً يزعمون أن التنظيم إذا قال فإنه لا يحتاج إلى دليل شرعى وهذا نوع من إعطاء العصمة لمن لا يملكها ، وطريق للاستبداد وتعطيل النصوص .

ولقد رأيت أناساً يجعلون الفريضة محرَّمة باسم التنظيم مع إن الإمام إذا خالف سُنَّة فإن للمتمسكين بالسُّنَّة أن يخالفوه ، بل نص الألوسى فى تفسيره : أن مَن له مذهباً فقهياً ، واختار الإمام مذهباً آخر فلا حَرَج عليه أن يخالف الإمام إن استطاع ليوافق مذهبه ، هذا إذا كان هناك إمام ، فإذا وُجِد تنظيم إسلامى لم يصل إلى سُلْطة تنفيذية فالطاعة هنا تعاقدية ، فكيف يزعم أمير لتنظيم إسلامى أن له حق تعطيل فريضة أو إباحة محرَّم أو نقل مندوب إلى أن يكون فريضة إلا إذا ساعدته الفتوى من أهلها .

إن التنظيم الإسلامى إذا اتفق أصحابه على قواعد من خلال الشورى وبما لا يخالف نصاً فساعتئذ ينبغى أن يلتزم كل فرد بما تعاقد عليه أهل التنظيم فيما هو من المصالح المرسلة .

ولقد رأيت أُناساً يضعون قواعد تنظيمية لتنظيمهم ولا يُعرِّفون بها أهل التنظيم .

ولقد رأيت أُناساً يتفقون على قواعد تنظيمية ولا يحترمونها بل يخرقونها ولا يبالون بذلك ، ونحن نرى أنه إذا اتُفِق على قاعدة من خلال الشورى فإنها تبقى ملزمة حتى توجد قاعدة أخرى بالشورى تلغى الأولى .

ونحن نرى أن تُعطَى الشورى لأهلها ، فإذا أعطيت لأهلها فرأى الأكثرية ملزم ، وللأمير أن يوسع دائرة الشورى فإذا وسعها على طبقة أدنى ضمن الأنظمة فكذلك رأى الأكثرية ملزم .

ونحن نرى أن للأمير تسيير الأُمور فى حدود الشريعة ، وعلى ضوء القواعد المتفق عليها ، وعندئذ لا يُعترض عليه إلا فى حالة ضرر تراه الأكثرية، أما فى حالة تأرجح المصالح وعدم ثبوت الضرر فالأصل أن يُطاع .

* * *

الفصل السابع

واجبات حزب الله العامة

حزب الله بالضرورة من الأُمَّة الإسلامية ، وأفراده موجودون فيها سواء ارتبطوا بتنظيم أو لم يرتبطوا ، وبعضهم يوجد فى مواقع حكومية ، بل قد يكونون فى قمة حكومات وبعضهم عاديون ، وعلى كل مسلم ومسلمة فى الأُمَّة الإسلامية أن يكملا ذاتهما ليكونا من حزب الله ، ونحن فى هذا الكتاب نُذكِّر بواجبات عامة يجب أن يتفطن لها الفرد من حزب الله ، ويحاول أيّاً كان موقعه أن يخدم فى هذه الواجبات ، وقد تكون خدمته جزئية أو كلية ، المهم ألا يقصر عن الخدمة المتاحة له ، فذلك الذى يرفع درجاته عند الله : ﴿ وَمَا عِندَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ (١) ، وفى الجنة ما يُعوِّض الإنسان عما يفوته بسبب القيام بواجباته ، ونحن لا نستطيع أن نحدِّد واجبات الفرد من حزب الله ، ولا واجبات حزب الله ككل ، ولكن نذكِّر ببعض الواجبات وحيثما كان الفرد من حزب الله يستطيع خدمة فعلية أن يفعل .

وبناءً على ما تقدَّم فإننا نكتفى ههنا بالتذكير بهذه الواجبات العامة :

يذكر الأصوليون أن الأحكام الشرعية منها الفريضة ومنها الواجب ، ومنها السُّنَّة ومنها الأدب ، ومنها المباح ومنها المكروه تنزيهاً ومنها المكروه تحريماً ، ومنها الحرام ، ويذكرون أن بعض المباحات لحيثية ما تصبح واجبة أو محرَّمة ، فعلى المسلم أن يفطن لذلك .

---

(١) القصص : ٦٠

كما يذكرون أن المباحات تدخل فى باب المروءات إذا تعارف الرأى العام الإسلامى على مراعاتها أو تعارفت فئة مؤمنة على مراعاتها ، وخرق المروءات يُسقط العدالة فلا بد للمسلم أن يراعى ذلك .

ومما يدخل فى الفرائض : فروض العَيْن وفروض الكفاية وفروض العصر وفروض الوقت ، وعلى الفرد من حزب الله أن يعمل ما استطاع فى إقامة هذه الأنواع من الفروض ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

وقد فصَّلنا هذا الموضوع فى رسائلنا التى أصدرناها تحت عنوان « كى لا نمضى بعيداً عن احتياجات العصر » وخاصة رسالة « منطلقات إسلامية لحضارة عالمية جديدة » ورسالة « فلنتذكر فى عصرنا ثلاثاً » .

إن من أهم واجبات الفرد فى حزب الله إقامة أنواع الفرائض فى نفسه وفى غيره ، فالفروض العينية منها ما يدخل فى الترك ومنها ما يدخل فى الفعل .

ومن الفروض ما هو اعتقادى ومنها ما هو عملى ، ومن الفروض العينية ما هو فرض قلبى ، ومنها ما هو قلبى وظاهرى ، وفروض الكفاية تسع الحياة جميعاً ، فكل علم يحتاجه المسلمون فهو فرض كفاية ، وإقامته وتحقيق مقاصده من فروض الكفاية .

وفروض العصر منها ما هو فرض كفاية ، ومنها ما هو فرض عَيْن على بعض الناس ، ومنها ما هو فرض عَيْن على كل الناس ، فالقضية الفلسطينية مثلاً يُفترض فرض عصر على المسلمين أن يتعاملوا معها ، والجهاد الأفغانى يُفترض على كل مسلم نصرته ، وإذا وجدنا إنساناً جائعاً يُفترض علينا فرض وقت أن نطعمه ، وإذا وجدنا إنساناً يغرق يُفترض علينا فرض وقت أن ننقذه .

فالمسلمون الجائعون والمسلمون الجاهلون والمسلمون المظلومون والمسلمون المرضى يُفترض على إخوانهم أن ينقذوهم مما هم فيه .

وهكذا فإن الواجبات العامة على كل فرد من حزب الله أن يعمل على إقامة فرض العين وفرض الكفاية ، وفرض العصر وفرض الوقت وأن يعمل ما استطاع لإقامة الواجبات والسنن والآداب والمروءات ويتجنب المنهيات .

وعلى ضوء هذا الفهم الواسع للأحكام الشرعية يستطيع الفرد من حزب الله - أيّاً كان وفى أى موقع كان - أن يقيم واجبات الجندية لله فى نفسه وعلى غيره على المستوى المحلى والمستوى العالمى

* * *

الفصل الثامن

تعميق استقلالية العالَم الإسلامى

إنَّ العالَم الإسلامى لا زال يخضع لضغوط خارجية ، أحياناً بسبب ضعف بعض أبنائه ، وأحياناً بسبب الجهل بالإسلام ، وأحياناً بسبب استطاعة الكافرين أن يجندوا أبناء المسلمين ضد أهليهم ، ولكن هناك سببين كبيرين يضطران العالم الإسلامى للخضوع : الجانب الاقتصادى ، والجانب التقنى .

هذان الجانبان يجعلان كثيراً من حكومات العالم الإسلامى تخضع لتأثيرات الدول الكافرة ، وبالتالى يُفقِدان العالم الإسلامى استقلاليته ، ولهذا تاثيره الكبير على تطبيق الشريعة الإسلامية ، فالتطبيق الكامل للشريعة الإسلامية وخاصة فى الحدود والقصاص منوط إلى حد كبير بتعميق استقلالية العالم الإسلامى ، وهذا منوط إلى حد كبير بالقوة الاقتصادية ووجود القدرات التقنية عند شعوب العالم الإسلامى ، ولذلك كان من واجبات حزب الله أن يقوى اقتصاديات العالم الإسلامى واقتصاديات شعوبه ، وأن يجعل هذه الاقتصاديات تتكامل وتستقل ، وأن يقوى التقنية فى العالم الإسلامى بحيث توجد اختصاصات تغطى كل شئون الحياة .

ولا شك أن المشوار طويل ، ولكن ما دام هناك احتياج يستطيع الكافرون أن يستغلوه فسيبقى العالَم الإسلامى أو بعض حكوماته خاضعاً للضغوط التى تجعله غير قادر على اتخاذ القرار المناسب المستقل .

نحن لا نتصور حالة يستغنى فيها أبناء العالَم قاطبة عن بعضهم بعضاً ، ولكن نريد أن نصل إلى حالة يكون التعامل فيها بين شعوب العالم الإسلامى

وبين بقية العالَم على أساس مصالح بمصالح لا على أساس المصالح بالمبادىء ، وهذا لن يتم من غير اقتصاد قوى وتقنية عالية .

وكما أن على حزب الله أن يعمل على ضوء عالم الأسباب لتقوية الاقتصاد الإسلامى ، فإنه لايصح أن يغفل عن التوجيهات الربانية فى شأن قوة الاقتصاد ، قال تعالى : ﴿ يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِى الصَّدَقَات ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُواْ وَاتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾ (٣) .

إنه إذا اجتمع لنا الأخذ بكل الأسباب الدينية والدنيوية نرجو أن توجد الاستقلالية لشعوب الأُمَّة الإسلامية .

إننى عندما أنظر إلى الديون الهائلة التى تغرق فيها شعوب الأُمَّة الإسلامية وأرى احتياجات الأُمَّة إلى الكثير من التقنية الحديثة - وخاصة الصناعات العسكرية وغيرها - أعجب ممن يتصور أن قرار شعوب الأُمَّة الإسلامية يمكن أن يكون مستقلاً .

صحيح أن العالَم الثالث تشبه أوضاعه أوضاعنا ، ولكن أليست لدينا قدرات متميزة تجعل بإمكاننا أن نتجاوز الأوضاع السيئة ؟ ألسنا - إن كنا مسلمين حقاً - محل الرعاية الإلهية التى تجعلنا متفوقين على غيرنا ؟

إن قضية الارتقاء الاقتصادى بالأُمَّة الإسلامية والارتقاء التقنى أكبر من أن يحيط بهما تفصيل ، ولكن إذا عرف كل فرد من حزب الله فى أى موقع كان واجبه فى هذين الشأنين فإننا نظن أن باستطاعتنا تجاوز مرحلة التبعية والتأثر بالضغوط بسرعة كبيرة .

---

(١) البقرة : ٢٧٦ (٢) : الأعراف : ٩٦ (٣) المائدة : ٦٦

ولا أشك أن المخططين العالميين يحاولون أن يُبقوا شعوب الأُمَّة الإسلامية غارقة بديونها محتاجة إليهم فى كثير من احتياجاتهم .

إن تعميق استقلالية القرار فى الأُمَّة الإسلامية هو الذى يعطى الأُمَّة الإسلامية القدرة على وجود النظام الذى تريد ، وهو الذى يعطى الأُمَّة الإسلامية فرصة تطبيق شريعتها ، ولذلك فمن واجبات حزب الله أفراداً وجماعات أن يعمقوا استقلالية الأُمَّة الإسلامية .

* * *

الفصل التاسع

أمن الأُمَّة الإسلامية .. وأمن العاملين للإسلام

الأمن نعمة مَنَّ الله على الإنسان بها ، قال تعالى : ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾ (١) ، وقال : ﴿ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّن خَوْفٍ ﴾ (٢) ، فالأمن نعمة مَنَّ الله بها على عباده ، وإذا ابتلاهم بالخوف فعليهم الصبر ، فالأصل فى المسلم أن يطلب الأمن لنفسه ولأُمَّته فى طاعة الله ، وإذا ابتُلِى صبر .

ومن الأمور التى ينبغى أن تحكم المسلم : حسن التقدير لما يحفظ على الأُمَّة الإسلامية أمنها فضلاً عن وجودها .

إنَّ هناك دولاً إسلامية قد قامت بفضل الله ، وهى معرَّضة لأخطار من الداخل أو من الخارج ، ومهمة المسلم أن يحفظ على هذه الدول وجودها ، وأن يسعى إلى تعميق الإسلام فيها ، نقول هذا لأن كثيراً من قصار النظر يرتكبون أخطاءً سياسية قاتلة يُعرِّضون بها أصل وجود دولة إسلامية للخطر .

إنه فى بلد مثل باكستان مثلاً ، لا بد من أن يفطن الإسلاميون إلى كل ما يمس أمنه أولاً ثم بعد ذلك تأتى مطلوبات تتفاوت بالشدة ولكن لا يصح أن يكون أى مطلب على حساب وحدة باكستان ووجودها ، لأنه فى حالة فقدان الوحدة والوجود تُفقد المطالب كلها ، وهكذا يجب أن يكون الإسلاميون أكثر الناس حرصاً على أمن بلادهم ووجودها .

---

(١) الأنفال : ١١ (٢) قريش : ٤

ولو فرضنا أن وجود بلد إسلامى تعرَّض للخطر وكنا على خصومة مع حُكَّامة فعلينا أن ننسى الخصومة وأن ننقذ الوطن .

ومن حرصنا على أمن الأُمَّة الإسلامية ، فنحن ضد الحروب التى تقع بين أقطار الأُمَّة الإسلامية ولا يعنى هذا أننا لا نُفرِّق بين حرب عادلة وحرب ظالمة ، ولكنَّا نعتقد أن أى حرب بين دولتين مسلمتين ستكون المحصِّلة فيها لصالح الكافرين ضد المسلمين ، ودعوتنا هذه دعوة للجميع ، ولكنَّا لا نفترض أن قطراً ما سيعتدى على قطر آخر دون أن يكون هناك قتال .

إن المحافظة على وجود الأُمَّة الإسلامية وعلى شعوبها وعلى أفرادها حيثما وُجِدوا واجب من واجبات كل فرد من حزب الله .

وهناك قضية خطيرة ، وهى أن الكافرين يحاولون أن يُوجِدوا تناقضاً كبيراً وحُجُباً كثيفة بين العاملين للإسلام وبين حكوماتهم ليستعدوا هذه الحكومات على الدعاة ، وواجب الحكومات والدعاة بآن واحد أن يُفوِّتوا هذه الفرص على أعداء الإسلام وأعداء الأُمَّة الإسلامية .

فأمن الدعوة والدعاة مطلوب ، وهذا الأمن محكوم بالفهم القرآنى ، فهناك حالة يريد الكافرون بها أن يستأصلوا المسلمين وأن يبطشوا بالدعاة ، فأمن الإسلام والمسلمين هنا لا يكون إلا بالقتال ولو من مقاتل واحد ، قال تعالى : ﴿ فَقَاتِلْ فِى سَبِيلِ اللهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ، وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ ، عَسَى اللهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ ، وَاللهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً ﴾ (١) .

إن أمن العالَم الإسلامى مرتبط بأمن العالَم ، وهذا يفرض علينا أن نفكر فى هذه القضية ، وهناك أمن خاص للعالَم الإسلامى ككل يجب أن نفطن له ، وهناك أمن خاص بكل قطر إسلامى يجب أن نفطن له ، وهناك أمن العاملين

---

(١) النساء : ٨٤

للإسلام فى هذا العالَم وهذا يجب أن نفطن له ، وهناك التطبيق الإسلامى الذى هو الأمن الحقيقى لكل إنسان فى الدنيا والآخرة .

وعلى أبناء حزب الله أن يفطنوا للنظريات الأمنية على كل مستوى ، وهذا يقتضى منهم وعياً وفهماً وموازنات كثيرة وعملا دؤوباً لهداية الإنسان وبُعد نظر فى كل خطوة يخطونها بحيث لا يغفلون أى جانب ينبغى التفطن له وهم يتخذون أى قرار .

إن كل فرد من حزب الله ينبغى أن يكون بعيد النظر عارفاً كيف يعالج الحاضر على ضوء رؤية بعيدة للمستقبل .

* * *

الفصل العاشر

داعية لكل مسجد .. داعية لكل جهة

لا بد للمسلم من حركتين : حركة نحو نفسه وحركة نحو الخارج ، أما حركته نحو نفسه فتتمثل بدراسة المنهج وحمل النفس عليه ، وأما حركته نحو غيره فتتمثل بتدريس المنهج والتربية عليه .

فالمسلم داعية لنفسه داعية لغيره ، يبدأ بنفسه وأهله ، ومن الظواهر المرضية أن ينشغل الإنسان بغيره عن نفسه ، ومن الظواهر المرضية أن ينشغل بغيره فيما هو إثم ويظنه خيراً ، ومن الظواهر المرضية ألا يعطى الإنسان أهله حقهم من الرعاية والعناية والعلم والدعوة والتربية .

ومن أهم ما يتحرك به الداعية نحو الخارج : المسجد ، واختياره قطاعاً من قطاعات الحياة يمارس فيه دعوته الإصلاحية ، وهذا هو تفصيل هذا الجانب :

إن أوتاد الإسلام فى العالَم هم رُوَّاد المساجد ، قال رسول الله ﷺ : « إنَّ للمساجد أوتاداً ، الملائكة جلساؤهم ، إن غابوا يفتقدونهم ، وإن مرضوا عادوهم ، وإن كانوا فى حاجة أعانوهم » (١) .

فبقدر ما يكون اهتمام المسجد ورُوَّاده تكون الأُمَّة الإسلامية إلى خير ، لذلك يجب أن يتولى داعية على الأقل الاهتمام فى مسجد ما بحيث لا يبقى مسجد إلا وقد تخصص له داعية ، وقد يكون دور الداعية الترتيب والتنظيم فقط ، وينبغى أن يحرص الداعية فى إطار المسجد على إنشاء الحلقات العلمية

---

(١) رواه أحمد عن أبى هريرة وفيه ابن لهيعة فيه كلام .

العامة والخاصة وعلى الدورات ، وأن يربط فى المسجد كل مَن فى دائرته من الشباب والأطفال والنساء وغيرهم ، وينبغى أن ينظم حلقات الذكر ومجالس الصلاة على رسول الله ﷺ ، وأن يوجه خطبة الجمعة بحيث تحقق أكبر فائدة ممكنة ، ويجب أن يرتب نشر الكتب الإسلامية المفيدة ، والصحف والمجلات الإسلامية الموثقة ، وأن يوجد لجاناً لزيارة البيوت ولجاناً للخدمة الاجتماعية وعيادة المرضى ومواساة المحزونين ، وحبذا لو أنشأ فرقة إنشاد تنظم الاحتفالات والأفراح فى دائرة المسجد على الطريقة الإسلامية .

وينبغى أن يبتعد العمل المسجدى عن كل إثارة أو موقف يعطله .

فلا شك أنه من أولويات العمل الإسلامى تعميق التوحيد ، وتعميق التعلق بالقرآن ، ومن أجل ذلك فإن كثيراً من الأمور تُطوَى لصالح ذلك .

وكما ينبغى أن يتفرغ لكل مسجد داعية ، ينبغى أن يتفرغ لكل جهة على مستوى العالَم وعلى مستوى القطر جهة تُسدِّد وترشد ، وتُخَذِّل عن الإسلام والمسلمين ، وتخدم الإسلام والمسلمين .

إنه لا يصح أن تبقى نقابة أو مؤسسة أو شركة أو دائرة حكومية أو مرفق من مرافق الأُمَّة أو مركز ، إلا ويوجد فيه أو له داعية إلى الله على بصيرة ، وينبغى أن يكون ذا حكمة عالية ، وينبغى أن يدخل فى دائرة كل ذى منصب أو نفوذ أو مال داعية إلى الله يكون على مستوى رفيع من الكياسة واللباقة .

إن الارتقاء بالكيف الإسلامى ينوب إلى حد كبير عن الكم ، فكثيراً ما يفعل فرد واحد ما لا تفعله الأعداد الكبيرة ، ومن ههنا ركَّزنا فى رسائلنا « كى لا نمضى بعيداً عن احتياجات العصر » وغيرها على ضرورة الارتقاء بالداعية إلى الله ، ولعل رسالتنا « إجازة تخصص الدعاة » نموذج عن تصورنا للداعية الكامل الذى ينبغى أن يكون كالهواء لا يُشعَر به ولا يُستغنَى عنه .

* * *

الفصل الحادى عشر

خطة للعاملين للإسلام فى كل قطر

إنَّ هناك حداً أدنى من العمل الإسلامى لا يصح أن يتوقف بحال هو الدعوة إلى الله سواء ظهر بشكل فردى أو جَماعى ، والدعوة إلى الله تظهر بالدعوة إلى العلوم الشرعية وإلى الأذكار المأثورة ، وتظهر بالدعوة إلى الاجتماع على العلم الشرعى والذكر ، والعلوم الشرعية منها العلوم المتوارثة ومنها الكتب المؤلَّفة حديثاً والتى تعرض الإسلام عرضاً يناسب العصر .

إن الإسلام يواجه فى عصرنا نظريات وأنظمة وفلسفات ، وقد تولى الدعاة المعاصرون مقابلة النظرية بالنظرية ، والنظام بالنظام ، والأيديولوچية بالأيديولوچية ، والمسلم المعاصر لا يحصل المناعة الكافية إلا بدراسة العلوم المتوارثة مع الدراسات الإسلامية الحديثة مع البيئة الطيبة التى يعيش فيها ، لذلك ركزنا فى رسالتنا « إحياء الربانية » وغيرها على عشرة علوم لا بد منها للداعية فى عصرنا ، بل لا بد لكل مسلم أن يُحصِّل ولو حداً أدنى من كل واحد منها .

ومع التخطيط للدعوة إلى الله فى كل قطر لا بد من الإجابة على سؤال : هل يُضاف إلى مجرد العمل الدَعَوى نشاط إسلامى آخر يشمل دوائر أخرى من النشاط الإسلامى كالنشاط السياسى والإعلامى إلى غير ذلك من أنواع النشاط ؟ هذا موضوع يجب أن يسهر عليه حكماء الأُمَّة ، فالقرار فى شأنه ليس سهلاً .

إنه ليسَ من الضرورى أن تكون خطتنا فى كل الأقطار واحدة ، وقد رأينا

فى كتابنا « فى آفاق التعاليم » كيف أن من اجتهادات الأستاذ البنا نظريته فى التعريف والتكوين والتنفيذ ، وأنه يمكن أن يكون هناك تعريف فقط أو تعريف وتكوين فقط ، أو تعريف وتكوين وتنفيذ ، وهكذا فإن خطة العاملين للإسلام ليست واحدة فى كل قطر .

إن أقطار الأُمَّة الإسلامية ليست واحدة ، وخطة العاملين للإسلام لا ينبغى أن تكون واحدة ، إن هناك أقطاراً يجب أن تكون خطتنا فيها موجهة نحو الدعوة ونحو دعم الديمقراطية والمحافظة عليها ، وأن نسعى عبر القانون لإنشاء أحزاب إسلامية فى ظل الديمقراطية ، وكمثال على هذه الأقطار : ماليزيا ، وتركيا ، ومصر، وهناك أقطار يجب أن يدخل فى خطتنا فيها دعم جهادها المسلح كأفغانستان ، وهناك أقطار يجب أن نقتصر فيها على الدعوة إلى الله بما لا يمس القانون فيها كالبلدان الغربية مثلا ، وهناك أقطار لها وضع خاص يجب أن تتلاءم خطة العاملين للإسلام مع هذا الوضع الخاص ، فخطة العاملين للإسلام فى بعض البلدان يجب أن تكون تحصين أهلها من الفكر الوافد الغريب ، ويجب أن يطمئن الحاكمون أن أمن العاملين للإسلام هو أمنهم ، وإذا كان من نصيحة فينبغى أن تُقدَّم لأصحابها سراً . وقد جَرَّ إلى هذا الكلام ضرورة التبيان أن خطط العاملين للإسلام تختلف اختلافاً كبيراً من مكان إلى مكان .

* * *

الفصل الثانى عشر

العقل المخطط والتخطيط الفنى

من المهمات الكبرى لكل قيادة : التخطيط ، فالقيادات الحزبية والجَماعية أو الحكومية مهمتها طرح الأفكار الرائدة والخطط ، وقد تستشير مَن حولها ريثما تُبلور خططها ، وقد تؤخذ الفكرة الصالحة من أى وعاء خرجت ، فالحكمة ضالة المؤمن ، فالمفترَض فى كل قيادة أن تمتلك عقلاً مخططاً .

والمفروض أن هناك نوعاً من التخطيط لا تستطيعه إلا القيادات ، لأن القيادات هى التى تمتلك المعلومات الشاملة والمعلومات الظاهرة والخفية والتقدير الدقيق للمواقف والاحتمالات وما ينبغى فعله .

فالأصل فى التخطيط أن يكون من مهمات القيادة ، لكن هناك جوانب فنية يتقنها المختصون فى التخطيط ، فهؤلاء قد يقترحونْ ابتداءً ، وقد يضعون خطة القيادة وتخطيطاتها فى دائرة التنفيذ من خلال الإحصاء والبرمجة واستعمال الأدوات الفنية .

إن التخطيط الفنى أقرب إلى أن ينجح فى الماديات ، أما الجوانب السياسية والإنسانية فالعقول القيادية هى التى ينبغى أن تخطط لها وقد تستعين بالمختصين الفنيين .

لقد رأيت قيادات سياسية تنتظر من جهاز التخطيط أن يضع لها خطتها ، وهذا قلب للمفاهيم ، فجهاز التخطيط إن وجد هو الذى ينبغى أن يتلقف من القيادة السياسية خطتها محاولاً أن يُقدِّم النصيحة فى التنفيذ لهذه القيادة .

قد يتداخل أحياناً ما هو واجب القيادة فى التخطيط وما هى مهمة الجهاز

الفنى للتخطيط ، فمثلاً قد يطرح القائد العسكرى أو السياسى خطته لمعركة وتتولى الأركان دراستها وما لها وما عليها ثم تضعها موضع التنفيذ ، وقد تقترح الأركانات الخطط وتترك للقيادة الاختيار ، ثم هى تقوم بدور التنفيذ ، ولكنه مهما اختلط التخطيط الذى هو مهمة القيادة بالتخطيط الذى هو مهمة الفنيين فلا ينبغى أن يكون ذلك مختلطاً فى الحركة الإسلامية .

فالتخطيط داخل الحركة الإسلامية منوط بالقيادات الإسلامية ، وقد تستعين بالخبراء ولكنه مهمتها .

ألا ترى أن التجديد الإسلامى فى كل قرن منوط بالمجدِّد ، فإذا انتظرنا من الفنيين المختصين بالتخطيط أن يقوموا بدور التجديد نكون قد عكسنا القضية .

إنه من المطلوب من القيادات الإسلامية أن تمتلك زمام المبادرة ، وهذا لا يكون إذا انتظرت أن يأتى التخطيط من المختصين .

إن القيادات السياسية المبدعة - فضلاً عن القيادات الإسلامية - هى التى تستخرج طاقات المختصين فى خدمة خططها وبرامجها وأهدافها .

إنه مطلوب من القيادات الإسلامية أن تمتلك عقلاً مخططاً ، وأن تمتلك القدرة على الاستفادة من الخبراء المختصين .

* * *

الفصل الثالث عشر

الهيكل التنظيمى لحركة إسلامية عالَمية واحدة

إن من مطامح الدعاة فى القرن الرابع عشر الهجرى التى لم تتحقق على كمالها وتمامها وجود الحركة الإسلامية العالَمية الواحدة .

إن هذا المطمح يحتاج إلى وجود قيادات مركزية إسلامية تخطط لتعميق الإسلام فى هذا العالَم والدفاع عنه ، وتقيم كل جوانب العمل الإسلامى التى تحتاجها الأُمَّة الإسلامية كما سنعرضها فى الباب الثانى .

إنه قد آن الأوان لوجود هذا الهيكل التنظيمى الذى يضم المتفاعلين مع الإسلام والفاعلين فى الدعوة إلى الله .

ونحن لا نرغب أن نقدِّم قوالب جامدة لميلاد هذه الحركة ، فالقوالب الجامدة الجاهزة قد تقضى على الميلاد ، ولذلك فإننا نتصور أن وجود الحركة الإسلامية العالَمية الواحدة منوط بالقناعة بأن ذلك فريضة شرعية ، ومنوط بالحوار الجاد مع أهل الحل والعقد فى الحركة الإسلامية ، ومنوط بالتمويل من أهل الخير ومن القادرين على دعم هذا الاتجاه .

ولكن مع احتراسنا من القوالب الجامدة فلا مانع أن نذكر تصوراً مبدئياً للحركة الإسلامية العالمية الواحدة ينضجه الحوار :

نحن نرى أنه لا بد أن يوجد على كل مستوى الجهة التى تسهر على الارتقاء بالمسلم المعاصر ليصل مَن يصل من هؤلاء المسلمين إلى رتبة الأستاذ كما عرضناها فى درجات العضوية .

وهؤلاء الأساتذة إن كانت ظروفهم تسمح لهم بالجهر بانتماء إلى الحركة الإسلامية فمنهم توجد الجمعية العالمية لعلماء الإسلام ودعاته .

ومن الرؤساء المحليين لهؤلاء توجد الجمعية العمومية للأُمَّة الإسلامية التى تنبثق عنها القيادات المركزية للحركة الإسلامية العالمية الواحدة .

نحن لا نتصور القيادات المركزية للحركة الإسلامية العالَمية الواحدة تنبثق إلا عن أعلى مستوى للأُمَّة الإسلامية .

وكلامنا عن هيكل تنظيمى للحركة الإسلامية العالمية الواحدة لا تلغى الهياكل التنظيمية للجماعات الإسلامية أو الأحزاب العاملة فى الحقل الإسلامى .

لقد وجدت هياكل تنظيمية كثيرة فى بيئات إسلامية ، فهناك جماعات لها هيكلها التنظيمى ، وجمعيات ومؤسسات ومؤتمرات وروابط وتجمعات حكومية وشعبية لها هياكلها التنظيمية .

ولا شك أن كل جهة تحاول أن تطور هيكلها التنظيمى بما يخدم أغراضها وأهدافها ، ونحن نفترض أن كل جهة إسلامية تحاول أن تحافظ على خصوصياتها ، كما نفترض أن كل جهة نمت عندها قناعات بخصائصها مما يجعلها تحافظ عليها ، ولكن مع وجود الخصوصيات والاحتفاظ بها ألا ينبغى أن يكون هناك حد أدنى يلتقى عليه الجميع ؟ ويبقى لكل ذى خصوصية خصوصيته تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ، وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (1) .

---

(1) المائدة : ٢ .

إنه لا زال هناك مسلمون كثيرون فى هذا العالَم فقراء يحتاجون إلى المسكن والمطعم والدواء ، ولا زال كثيرون من المسلمين لا يستشعرون بنعمة ارتباطهم بإخوانهم المسلمين فى العالم ، ولا زال كثيرون من المسلمين تعوزهم الثقافة الإسلامية الصحيحة ، ولا زال كثير من شعوب الأُمَّة الإسلامية يتطلعون إلى تعلم اللغة العربية ، ولا زالت الأُمَّة الإسلامية تفتقر إلى التخطيط المركزى فى أشياء كثيرة ، ومن ههنا لا زالت الحاجة ماسة لوجود هيكل تنظيمى لحركة إسلامية عالَمية جامعة .

فإما أن تطور جهة ما نفسها لتكون هذه الحركة التى تصبح بمثابة الأب لكل مسلم ، وإما أن تنشأ هذه الحركة ، وقد حاولنا فى رسالتنا « عقد القرن الخامس عشر الهجرى » أن نضرب أمثلة على شىء ما تحتاجه الأُمَّة الإسلامية ، ولكن هذه الحركة الإسلامية الجامعة تحتاج إلى مقر يتبناها ، وإلى ممول يموِّلها ، فإذا وُجِد المقر والمموِّل فالمفترض أن يُدعَى إلى لجنة تحضيرية تتولى صياغة النظام الأساسى لهذه الحركة وتضع المبادىء الرئيسية التى تنطلق على أساسها الحركة ، وإن القاعدة الذهبية التى وضعها الأستاذ البنا رحمه الله : « نجتمع على ما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه » لا تزال هذه القاعدة أساساً يمكن أن يلتقى عليه دعاة الإسلام ، ولا تزال أصول الفهم العشرون التى وضعها الأستاذ البنا فى رسالة التعاليم ، لا تزال هذه الأصول العشرون لفهم الإسلام هى دستور للوحدة الثقافية للأُمَّة الإسلامية .

إننا ندعو كل جهة إسلامية حكومية أو شعبية أن تُطوِّر هيكلها التنظيمى بحيث يكون أكثر فاعلية وأكثر تحقيقاً للمصلحة ، كما ندعو أن يوجد الهيكل التنظيمى لحركة إسلامية عالَمية جامعة .

إن المسلم بطبيعته منتم للأُمَّة الإسلامية ، وفى الوقت نفسه قد يكون منتمياً لجهة ما ، وهذا لا يتعارض مع هذا ، وقد وجدنا أناساً لهم عدة انتماءات بآن واحد ولا يرون تعارضاً فى ذلك ، فمثلاً هناك ناس ينتمون إلى الإخوان

المسلمين وهم فى الوقت نفسه ينتمون إلى الهيئة التأسيسة لرابطة العالَم الإسلامى وهم ينتمون فى الوقت نفسه إلى مؤسسات وجمعيات أخرى ولا يرون ذلك يتعارض مع بعض ، فكذلك إذا وُجِدت الحركة الإسلامية العالمية الواحدة ينبغى أن يكون الانتماء إليها غير متعارض مع أى انتماء آخر .

* * *

الفصل الرابع عشر

فى عبقرية التنفيـــــــذ

إن هناك تنفيذاً ناجحاً وتنفيذاً فاشلاً للخطط والمخططات ، فمهما كانت الخطط محكمة إذا لم يتولى تنفيذها أناس مقتنعون بها وفاعلون حكماء قادرون فإن هذه الخطط تفشل .

وهناك تنفيذ فردى ، وهناك تنفيذ يقوم به الجهاز ، وهناك تنفيذ تقوم به القيادات المركزية ، فإذا لم يتكامل التنفيذ ، وإذا لم يكن هناك تعاون فإن الأهداف لا تتحقق ، ثم إن هناك تنفيذاً يومياً وتنفيذاً مرحلياً وتنفيذاً استراتيچياً ، وكل ذلك يجب أن يتكامل لتحقيق الأهداف الإسلامية .

وهذا كله يحتاج إلى عقلية تنفيذية عبقرية وواعية .

إن كل مسلم ينبغى أن يكون مرتبطاً بعقد الإخاء مع مجموعة أو حلقة يكون لها برنامج نحو نفسها ونحو غيرها ، نحو نفسها بالعلم والذكر والاجتماع والتكافل ، ونحو غيرها بالمواساة والتعارف والتألف والتآلف ، وهذا نوع تنفيذ .

وإذا كان المسلم فى جهاز دَعَوىّ أو على ثُغرة من ثُغَر الإسلام فعليه أن يؤدى الواجب كاملاً مهما قصَّر الآخرون ، وهذا نوع تنفيذ .

وإذا كُلِّف المسلم بعمل قيادى فإنه ينبغى أن يقوم بواجبه على أتم ما يكون ، وذلك نوع تنفيذ .

والقيادات الإسلامية الساهرة هى التى تسهر على تنفيذ الأفراد والمجموعات

والأجهزة ، كما تسهر على وضع المخططات اليومية والمرحلية والاستراتيجية وتسهر على تنفيذها .

ونحن فى هذه المرحلة نحتاج إلى عبقرية التنفيذ على كل مستوى أكثر مما نحتاج إلى مجرد تنفيذ ، ولذلك فإننا ندعو كل مسلم إلى الارتفاع بسقفه الثقافى والروحى والتخصصى ، كما ندعوه إلى أن يستشرف ساحة العمل التى يعمل بها ، كما ندعو الجماعات الإسلامية للاستشراف الكامل على الساحة العالمية والساحة المحلية فذلك مدعاة إلى جودة التنفيذ .

إن كثيراً من الأحكام الإسلامية يمكن أن يكون حلاً لمشكلات إنسانية هائلة إذا وجدت عبقرية التنفيذ ، فمثلاً فكرة فروض الكفاية كم هى فكرة هادية لو وجدت عبقرية فى التنفيذ تحصى كل فروض الكفاية التى تحتاجها الأمة الإسلامية أو قطر من أقطارها ، وتسعى لتسخير الطاقات فى إقامتها .

ههنا فكرة بسيطة ولكنها تحتاج إلى عبقرية فى التنفيذ .

وفكرة فروض العصر من مثل معالجة القضية الفلسطينية وأمثالها كم هى فكرة هادية لو وجدت عبقرية فى التخطيط التنظيم والتنفيذ .

إن هناك أحكاماً إسلامية نجدها فى ثنايا الكتب يمكن أن تحل بها مشكلات هائلة إن وجدت عبقرية التنفيذ ، فمثلاً : نص الشافعية على أن مَن يتقن عملاً وليس عنده رأس مال لإقامة هذا العمل يُعطَى من مال الزكاة ما يقيم به عمله مهما بلغ ذلك ، فلو أننا أخذنا هذه الفكرة ودفعنا لمجموعة من العمال ضمن اختصاصهم ما يقيمون به شركة يملكونها من مال الزكاة لكان ذلك سائغاً وبذلك نكون قد شغَّلنا كثيراً من الاختصاصيين وكثيراً من العمال فى عمل منتج كبير ، فلو أن أموال الزكاة جُمِعت فى قطر وسُخِّرت فيما سُخِّرت له فى مثل هذه الشئون ووُجِدت عبقرية فى التنفيذ لكان بالإمكان أن تُحَل من خلال هذه الفكرة كثير من مشكلات الأُمَّة .

وهكذا نجد أن كثيراً من الأحكام الشرعية يحتاج إلى عبقرية فى التنفيذ ليعطى ثماره .

فعلى كل مسلم أن يمتلك عبقرية التنفيذ ، والذين يملكونها فعلاً مطالَبون أكثر من غيرهم بالتنفيذ المناسب والمكافىء لحل مشكلات العصر .

وإلحاحنا على عبقرية التنفيذ لا ينبغى أن ينسينا أن التنفيذ العبقرى منوط بخطة عبقرية كما هو منوط بشخصية المنفذ وبطبيعة التنفيذ .

والحديث عن عبقرية التنفيذ يجرنا إلى الفصل اللاحق .

* * *

الفصل الخامس عشر

فى خارطة التخصصات التى يحتاجها العمل الإسلامى

من المعلوم - كما ذكرنا - أن كل علم تحتاجه إقامة الدين والدنيا هو من العلوم المفروضة فرض كفاية ، ومن ههنا كان لا بد من وجود التخصصات فى شئون العمل الإسلامى وفى شئون التقدم العلمى ، فهناك تخصصات فى العمل الإسلامى يحتاجها كل قطر ، والمتخصصون فى كل الأقطار ينبغى أن تكون لهم رابطة لتجميع المعلومات وتبادل الخبرات وتطوير القدرات .

والمفروض على أعضاء الحَركة الإسلامية العالَمية الواحدة أن يكون كل فرد فيها داعية ، لأن المهمة الأولى هى تغطية هذا العالَم بالعمل الدعوى لإقامة الحُجَّة على الناس ، والمفروض على كل عضو فى الحركة أن يكون عالماً قادراً على التعليم والتربية لتغطية حاجات المسلمين فى العلم والتربية ، مع هذا فهناك تخصصات لا بد أن تكون موجودة بما يغطى احتياجات قطر أو احتياجات الأُمَّة الإسلامية ، ومن ههنا فإن كل عضو فى الحركة ينبغى أن يُكلَّف بمتابعة تخصص ما بحيث يكون هناك توازن وتوزيع وتنويع بحيث لا يبقى تخصص إلا وقد وُجِد فيه العدد الكافى .

إننا فى الباب اللاحق نذكر عشرين ساحة من ساحات العمل الإسلامى التى تحتاج إلى تخصص ، وما ذكرناه بعض من كل .

والمفروض أن يكون المتخصصون فى كل فن يتبعون القيادة المركزية للحركة الإسلامية العالمية الواحدة ، وهذا يؤدى إلى ارتقاء كل تخصص وإلى ارتقاء

كل متخصص ، ويمكن أن ينبثق عن مجموعة المختصين فى كل فن واحد أعمال إيجابية تخدم الأُمَّة الإسلامية بل تخدم العالم .

وهذا الكتاب مهمته توسيع آفاق الدعاة على الاختصاصات التى لا بد منها - فى عصرنا .

ومن الاختصاصات الفنية التى نؤكد عليها أكثر من غيرها الاختصاصات التالية ، والأمر بحاجة إلى تتبعات لزيادة التفصيل :

التخصص فى الفقه الدستورى .

التخصص فى الأنظمة فى العالم .

التخصص فى الأنظمة الحزبية .

التخصص فى النظام الانتخابى .

التخصص فى الحياة النيابية .

التخصص فى السُلْطة التنفيذية .

التخصص فى الوزارات المعروفة فى العالم .

التخصص فى وزارة من الوزارات .

التخصص فى السُلْطة القضائية .

التخصص فى القضاء .

التخصص فى قانون من القوانين .

التخصص فى معرفة كل ما له علاقة فى محافظة من محافظات القطر .

التخصص فى الاتجاهات السياسية العالَمية .

التخصص فى الاتجاهات السياسية فى القطر .

التخصص فى النوادى الكشفية والرياضية والاجتماعية على مستوى القطر أو على مستوى العالم .

التخصص فى الأديان والمذاهب علي مستوى العالَم .

التخصص فى الأقليات الإسلامية فى العالَم .

التخصص فى الأقليات غير المسلمة أو الأقليات من غير أهل السُّنَّة والجماعة على مستوى القطر .

تخصص أفراد من كل قطر من البلدان المجاورة وعلاقات القطر السياسية .

التخصص فى العلاقات بين الدول العربية والإسلامية .

التخصص فى العلوم العسكرية أو فى علم منها .

التخصص فى أحد أجهزة الإعلام .

التخصص فى التليفزيون أو الإذاعة أو الصحافة أو الفيديو أو النشر أو التوزيع .

التخصص فى الاقتصاد .

التخصص فى اقتصاد محلى أو اقتصاد عالمَى .

التخصص فى العمل النقابى عامة .

التخصص فى نقابة من النقابات .

التخصص فى العمل الطلابى .

التخصص فى الاتحادات العمالية أو الفلاحية أو الطلابية أو النقابية .

التخصص فى علم من العلوم الشرعية أو الحياتية .

التخصص فى العلاقات مع الإسلاميين .

التخصص فى العلاقات العامة وفى الخدمات للمسلمين .

التخصص فى التأهيل الدَعَوىّ .

التخصص فى التعرف على وكالات الأنباء وطرق الوصول إلى أجهزة الإعلام .

التخصص فى الدعوات المضادة .

التخصص فى الكتاب والمكتبات .

التخصص فى الترجمة إلى لغة من اللُّغات .

التخصص فى معرفة النشاط التبشيرى والصهيونى والاستعمارى والمنحرف .

التخصص فى المؤسسات العالَمية كهيئة الأُمم وما ينبثق عنها ومؤسسات حقوق الإنسان .

التخصص فى مواجهة المتآمرين على الإسلام والمسلمين .

* * *

الفصل السادس عشر

الداعية والمنابر وتسخير الطاقات لخدمة الإسلام

مرَّت على الدعوة الإسلامية الحديثة مرحلة كان يُخشى عليها فيها من الاحتواء ومن الانحراف عن مبادئها وأهدافها ، وبسبب من ذلك كان كثير من الدعاة يفرون من مواقع ومواقف ، ولكن المرحلة الحاضرة أوجدت وضعاً جديداً فلم يعد يُخشى على الدعوة من الاحتواء ولا من الانحراف عن مبادئها وغاياتها لأنه لو حدث شيء من هذا فإن الوعى الإسلامى الحديث يتجاوزه ويتجاوز أصحابه ، ثم إن الدعاة أصبحوا كثراً لدرجة أنه لو زلَّ داعية فالدعوة تستمر بغيره ، ولذلك فإننا ندعو الدعاة ألا يتركوا منبراً يستطيعون فيه أن يُبلِّغوا دعوتهم إلا وعليهم أن يرتقوه .

افرض أن داعية أتيح له أن يحاضر فى ناد أو جمعية أو جماعة أو مؤسسة حكومية أو مؤتمر أو غير ذلك ، فهل يُترك هذا المنبر المتاح أو أنه يحاضر مقرِّباً الناس إلى دعوة الله بالقدر الممكن المتاح ؟

نحن نرى أن على الداعية أن يستجيب بل أن يبادر ، وأحياناً قد يقتضى الوصول إلى منبر الانتساب الذى لا يؤثر على سلامة الاعتقاد والذى لا يُدخل صاحبه فى دائرة الإثم ، فهل على الداعية من حرج لو أنه انتسب فى هذه الحالة ؟

إننى لا أرى حَرَجاً فى ذلك ، فأنا لا أرى حَرَجاً - مثلاً - أن ينتسب الإنسان بآن واحد إلى شيخ صوفى مستقيم وإلى جماعة الدعوة والتبليغ وإلى

جماعة الإخوان المسلمين وإلى مؤسسة خيرية ، ولكن عليه أن يحافظ فى كل انتساب على الأدب الذى يقتضيه انتسابه إلى جماعة ما ، فلا يحاول مثلاً أن يخرج جماعة التبليغ عن سمتها لأنه إخوان مسلمون ، بل عليه أن يلتزم بأقصى ما تريده هذه الجماعة عندما يشارك فى أعمالهم .

وفى الوقت نفسه فإن حاجات المسلمين أكبر من أن يسعها عمل جماعة شعبية ، فهل على الداعية من حَرَج لو استطاع أن يُفجِّر طاقات حكومية أو فردية ويُسخِّرها لخدمة الإسلام والمسلمين ؟

إننى أرى أن ذلك قد يكون من الواجبات فى بعض الحالات ، ولنفرض أن توجيه طاقة ما يقتضى من الداعية انتساب إلى مؤسسة حكومية أو استلام عمل حكومى فيما لا إثم فيه فهل يفعل الداعية ذلك خدمة لدينه أو يفر منه ؟

إننى أرى أنه من الواجبات فى بعض الحالات أن لا يفر من ذلك ، بل إنه من نجاحات الدعاة أن يحاول كل داعية أن يكون له صلة بأكثر ما يستطيع من المنابر وأن يبذل جهداً لتوجيه كل طاقة حكومية أو شعبية فيما يخدم الإسلام والمسلمين ، وقد يكون فى عمله هذا مصلحة للجهة التى يعمل فيها ، فإن كانت مصلحة الإسلام والمسلمين تتحقق بعمله فلا عليه أن تتحقق مصالح للآخرين بعمله .

ولقد رأينا بعض الدعاة من خلال حكمتهم استطاعوا أن يؤثروا فى دفع ضرر عن الإسلام والمسلمين ، وأن يُسخِّروا طاقات لم تكن لتُسَخَّر لولا ولوجهم إلى دوائر شعبية أو حكومية .

إن كثيراً من المعاهد والجامعات الإسلامية والمؤسسات التى تخدم الإسلام فى العالَم يمكن أن تكون أكثر فاعلية لو شارك فيها الدعاة ، والداعية الذى تذيبه دنيا أو تأخذه مخططات الخصوم ليس داعية إلى الله على بصيرة .

تُرى كيف نعالج الفقر المدقع فى كثير من أقطار العالم الإسلامى وكيف

نعالج الغزو الفكرى المركَّز على أطراف العالَم الإسلامى إذا لم نُسخِّر طاقات حكومية لذلك ؟

قد تتفق مصلحة الإسلام فى لحظة ما مع مصلحة جهة أخرى قد تكون كافرة ، فلا علىَّ أن أستفيد من ذلك إذا تحقق الإخلاص والوعى ، بل إنه قد يكون من المناسب أن نشم الرياح التى يفكر فيها الآخرون ، ونحاول أن نستفيد من وجهة الريح هذه فيما يخدم الإسلام والمسلمين .

ليست المسألة سهلة بل هى محفوفة بالخطر ولكن التاجر الناجح هو الذى يستطيع أن يستفيد من كل شىء لصالح تجارته ، على أننا مع دعوتنا هذه لا نرى أن يقدم المسلم على شىء حتى يعرف حكم الله فيه تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىِ اللهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [1] .

لقد مرَّت فترة وُجِّه فيها اللوم لمن لا يشك فى دينه وأمانته وعقله لأنه قَبَلَ أن يشارك فى حديث تليفزيونى ، كما رأيت صوراً انتُقد فيها أمثال هؤلاء على استلامهم وزارات خدموا فيها إسلامهم خدمة جلى، كما رأيت أمثال هؤلاء يُوجَّه لهم لوم لأنهم يخدمون فى مرفق حكومى مهم يخدم الإسلام والمسلمين .

لا شك أن بعض القضايا تحتاج إلى موازنات ، ولكن فى كثير من الأحيان تُترك فروض لصالح توهمات .

لا شك أن هناك أعمالاً يقيمها بعض الناس ظاهرها الخير وباطنها الشر ، وما حادثة مسجد الضرار عنا ببعيد ، ولذلك اشترطنا للإقدام على أى عمل معرفة حكم الله فيه على بصيرة وعلى وعى . ونحن نعتقد أنه إذا وُجِد الوعى والبصيرة فإن الداعية يستطيع أن يؤدى دوراً كبيراً فى أى مرفق متاح مباح .

إن من مهمات الداعية الكامل الإبصار والتبصير ، فإذا امتلك إنسان الإبصار والتبصير الكاملين فإن الناس لا بد أن يبصروا وأن تقوم عليهم الحُجَّة

---

(١) الحجرات : ١

وسيبصرون بعد الموت صحة ما يدعوهم إليه الداعية ، قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَأَبْصِرِ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ [1] ، وقال تعالى: ﴿ وأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ [2] .

إن الداعية الكامل لا يستطيع أحد احتواءه بل هو قادر على أن يُسخِّر طاقات الآخرين فيما يظن الآخرون أنهم يستغلونه .

إنه يجب أن ننتهى من عُقَد الخوف والتوهمات وضعف الثقة بأنفسنا وإخواننا ، وأن نقتحم كل منبر يُتاح على شرط أن يكون هذا الاقتحام مباحاً.

* * *

(١) الصافات : ١٧٩

(٢) الصافات : ١٧٥

الفصل السابع عشر

فى اجتهادات حركية يحتاجها العاملون للإسلام

* الاجتهاد الأول : نحن نرى أن مجالس الشورى القطرية - إن وجدت - هى صاحبة الحق فى إخراج قياداتها المحلية ، وهى صاحبة الحق فى أن ترسم سياساتها المحلية مستضيئة دون إلزام بتوجيهات القيادات المركزية .

* الاجتهاد الثانى : نحن نرى للمستقبل أن يكون لكل قطر إسلامى دستوره الخاص به ، وأن يكون للأقطار الإسلامية المتحدة دستورها العام الذى يحكمها ، كما نرى أن يكون لكل تنظيم إسلامى نظامه الخاص ، وأن يكون للحركة الإسلامية العالمية نظامها الأساسى الذى يحكمها ، ولا نرى أن تُخرق الأنظمة ما دام معمولاً بها ، إننا نؤكد أن أى خرق للأنظمة المعمول بها لا بد أن يترتب عليه شقاق ونزاع ، ووضع الأُمَّة الإسلامية فى حاضرها ومستقبلها ، ووضع العمل الإسلامى الموحَّد لا يحتمل ذلك .

* الاجتهاد الثالث : إنه فى غياب دولة حُرَّة تعتبر قاعدة للحركة الإسلامية فى العالم كله لا تستطيع قيادة مركزية أن تتدخل فى شئون التنظيمات القطرية تدخلاً يستوعب الحاجات المحلية ، ولذلك فإننا نرى ألا تتدخل أى قيادة مركزية عالمية تدخلاً إلزامياً إلا فى الحدود التى تحفظ العقائد من الشذوذ ، والمواقف من الانحراف ، وتكون مكملاً للنواقص .

* الاجتهاد الرابع : نحن نرى أنه إذا تركت الأمة الإسلامية مبدأ الجهاد فقدت إسلامها شيئاً فشيئاً ، وظروف الأُمَّة الإسلامية الحالية تفرض على الأُمَّة أن تبلور نظرية فى الجهاد ، ونحن نرى أن النظرية المثلى لتحقيق الجهاد أن

تُفرِّق الأمة بين مَن تعتبره نظام نصيحة وبين أنظمة تريد استئصال الإسلام ، فالأنظمة التى تريد استئصال الإسلام هى التى يجب أن تُعبّأ الطاقات من أجل الجهاد فيها .

* الاجتهاد الخامس : نحن نرى أن أدنى العلاقات بين المسلمين هى العلاقات الأخوية الودية الحبية ، إلا إذا وُجِد انحراف فى العقائد أو فى السلوك ، ولا نعتبر أن مجرد الخروج من تنظيم انحرافاً فى العقائد أو فى السلوك ، وأن أعلى درجات العلاقة بين المسلمين هى العلاقات التنظيمية المبنية على العقائد السليمة والأخوة الحقيقية لأنه علاقة عضو مع جسد ، لذلك فإننا نحرص على العلاقات التنظيمية مع مسلمى العالم ، فإذا فاتنا ذلك فلا ننزل بالعلاقة مع مسلم إلى ما دون مستوى الإخاء .

* الاجتهاد السادس : نحن نرى أنه متى دخل المسلمون فى الحرب دخلوا فى الفتوى الاستثنائية ، فهذا رسول الله ﷺ يأمر ألا يُصلَّى العصر إلا فى بنى قريظة ، ومتى دخلوا فى السياسة ، دخلوا فى الموازنات ، فكثيراً مايضطرون لاختيار أهون الشرين وأخف الضررين ، ولا يستطيع الفتوى الاستثنائية وترجيح ما هو مصلحة إسلامية إلا مَن كان على علم وبصيرة .

* الاجتهاد السابع : نحن نرى أن أهداف دعوة الأستاذ البنا رحمه الله ومنطلقاته قد قبلها ضمير هذه الأُمَّة ، والتحدى الكبير الذى يواجهنا هو الهيكل التنظيمى الذى تتجسد فيه المنطلقات والقادر على تحقيق الأهداف ، وذلك من خلال فرد مؤهل وصَفٌ مؤهل ونظرية تنظيمية صحيحة ونظام منبثق عن هذه النظرية ، وخطة عمل حكيمة .

* الاجتهاد الثامن : لقد رأينا من خلال التجربة أن هناك أناساً يفرون من القرار اليومى إلى الآمال والأحلام المستقبلية ، ونحن نرى أن القيادة الإسلامية الراشدة والفاعلة هى التى تواجه كل شىء فلا تترك مواجهة المشكلة بل تسبق

المشكلة قبل وقوعها ، وتسارع إلى حلها إن وُجِدت ، وتتخذ قرارها المناسب في كل ما يواجهها دون أن تخشى في الله لومة لائم .

* الاجتهاد التاسع : لقد رأينا أناساً تقذف بهم المؤسسات والأنظمة إلى مركز القيادة ، فإذا وصلوا إلى مركز القيادة عطلوا المؤسسات والأنظمة ، أو أخذوا يتلاعبون بهما لأنهم لا يريدون أن يحكمهم شيء وليسوا مؤهَّلين لمواجهة المؤسسات وتطبيق الأنظمة ، ولذلك فإننا نرى أن هذه القيادات ساقطة حكماً في عصرنا ، وهي قيادات تريد أن ترجع بالأُمَّة إلى عصور الاستبداد بل هي تمثل النموذج الأسوأ لهذه العصور .

* الاجتهاد العاشر : نحن نرى أن بعض الإسلاميين تعاملوا مع فكرة القومية والوطنية والمصالح العامة تعاملاً تجاوزوا به فكر الأستاذ البنا الذي وضع هذه الأشياء في محلها ، فنحن نرفض أن تكون هذه القضايا بديلاً عن إسلام أو نقصاً لإسلام أو تعطيلاً لأحكام من الإسلام ، ولكنَّا نتعامل معها كعوامل مؤثرة بحكم العادة في كثير من تصرفات البشر وهو شيء لم يلغه الإسلام من أساسه ، بل أعطاه محله وقدره في نظامه .

* الاجتهاد الحادي عشر : نحن نرى أن يُنظر بعمق إلى كل اجتهاد سياسي لا يخالف النصوص ، فكثيراً ما يفطن العقل البشري نتيجة لدقة النظرة إلى قضايا صحيحة ، ومن ههنا فنحن لا ننظر إلى الاجتهادات السياسية بتشنج ، بل كثيراً من الاجتهادات السياسية التي يصل إليها حتى أولئك الذين يخاصموننا ليست محل رفضنا ، فالحكمة ضالة المؤمن أنَّى وجدها فهو أحق بها .

* الاجتهاد الثاني عشر : نحن نرى أن الحركة الإسلامية الحديثة تتحمل مسئولية تعميق عقائد أهل السُّنَّة ، وتتحمل عبء الدفاع عن مذاهبهم الفقهية والسلوكية ، فلا سير صحيحاً إلى الله إلا بأن نكون الفرقة الناجية من الثلاثة

والسبعين فرقة ، فلسنا حياديين بين ما استقر عليه إجماع أهل السُّنَّة والجماعة ، وبين الشذوذ والانحراف كائناً ما كان أهله .

* الاجتهاد الثالث عشر : نحن نرى أنه متى أجاز أحد أئمة أهل السُّنَّة والجماعة فى الاجتهاد أو أحد أئمة الفتوى عندهم ، متى أجاز واحد من هؤلاء شيئاً ولم يخالف بذلك إجماعاً ، فقد خرج ما أجازه من دائرة البدعة الضالة إلى دائرة الفعل المباح ، ولذلك فنحن نختلف فى الرأى مع كثيرين من الذين يسارعون إلى التبديع والتكفير .

* الاجتهاد الرابع عشر : إننا نرى أن مقولة « خذوا الإسلام جملة أو دعوه » . صحيحة بالنسبة للاعتقاد ، غير صحيحة بالنسبة لكثير من التطبيقات ، فالفقهاء فرَّقوا بين ألا يبقى شىء من الإسلام وبين أن يبقى شىء من أحكام الإسلام قائماً للحكم على بلد أنه دار إسلام أو لا ، والنصوص تبين أنَّ عذاب الكافرين أنفسهم متفاوت ، والفتاوى تفرِّق بين فسوق وفسوق وبين فسوق وكفر ، ومن ههنا فنحن مع دعوتنا إلى الإسلام كله فإننا نفرح بأى تطبيق جزئى للإسلام على مستوى الفرد أو على مستوى الشعب .

* الاجتهاد الخامس عشر : نحن نرى أهمية كبيرة لأن يُنَص فى دستور الدولة على أن دين الدولة الإسلام ، ولو كان واضعو ذلك يريدون ما أرادوا ، وذلك عندنا كالنطق بالشهادتين يُخرج صاحبه من حال إلى حال ، ويفرض علينا نوعاً من التعامل معه ولو كان يضمر فى قلبه شيئاً آخر ، إلا أنَّ النص على أن « دين الدولة الإسلام » مع وجود نص ينقض النص مدان عندنا ، فنحن ندين أن يوجد فى أى دستور ما ينقض أحكام الإسلام ، أو يقيدها ، كما أننا نُخَطِّىء مَن لا يرى قيمة لأن تدخل مادة « دين الدولة الإسلام » فى الدستور ، إننا لا زلنا نصارع منذ سنين طويلة من أجل إدخال هذه المادة فى دساتير بعض الأقطار ولم ننجح حتى الآن ، وما ذلك إلا لأن الآخرين يرون خطورة هذه الكلمة .

* الاجتهاد السادس عشر : نحن نرى أن الديمقراطية فى العالَم الإسلامى مآلها أن ينتصر الإسلام ، ولذلك فإننا نُحذِّر أنفسنا وإخواننا من محاربة الديمقراطية العملية ، بل نرى أن المطالبة بمزيد من الديمقراطية هو الطريق العملى لانتصار الإسلام على أرض الإسلام ، وقد فطن أعداؤنا لهذا فاغتالوا الديمقراطية وأوجدوا ديكتاتوريات وبدائل ، وغفل الكثيرون من أبناء الإسلام عن الإيجابيات التى تقدمها لنا الديمقراطية ، ونظروا إلى المسألة فى إطارها النظرى العقدى ، ولم ينظروا إلى المسألة فى إطار الواقع الذى يقول إنه حيثما كانت أكثرية فهى التى تحكم ، ومبادؤها هى التى تسود ، وحيثما تكون أكثرية إسلامية فى قطر فمآل ذلك أن ينتصر الإسلام ، وإذا كان المسلمون أقلية فإن الديمقراطية فى كثير من الأحوال لصالحهم .

* الاجتهاد السابع عشر : إن مقولة إلغاء الأحزاب السياسية والهجوم على تعدد الأحزاب والمطالبة بالحزب الواحد أثبتت التجربة خطأها ، ولذلك فنحن لا نحارب فكرة تعدد الأحزاب بإطلاق ، ولا نطالب بفكرة الحزب الواحد ، ولو كان هذا الحزب حزبنا ، لأن ديكتاتورية الحزب أصعب من ديكتاتورية الفرد ، وديكتاتورية الحزب مآلها إلى ديكتاتورية الفرد ، وخطيئة واحدة للديكتاتور قد تودى بشعب أو أُمَّة ، وهذا شىء مخيف ، نحن لا نخشى الحرية السياسة المنضبطة بالإسلام .

* الاجتهاد الثامن عشر : نحن نرى أن للعمل الإسلامى الجَماعى فى عصرنا ضريبة هى القذى والأذى ، فهناك عمل إسلامى فردى لا يسلم من قذى أو أذى ، ولكن العمل الجَماعى على مستوى القطر أو على مستوى العالم ضريبة الأذى والقذى فيه أكبر ، لأن دائرته أوسع ومشكلاته أكبر ، يشهد لذلك إحدى روايات حذيفة رضى الله عنه لحديث : « كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وأسأله عن الشر » ، إذ تقول هذه الرواية واصفة حالاً كحالنا : « وجماعة على أقذاء » ، ويشهد لذلك الحديث: «

المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم » ، فمهما كانت دائرة الخُلْطة أكبر فيجب أن تكون دائرة الصبر أوسع ، فالذين لا يملكون رصيداً ضخماً على دفع ضريبة العمل الجَماعى لا يصلحون لقيادة هذا العمل ، والذين لا تظهر فيهم أخلاق النبوة فى البُعد عما يشق ، وفى الحرص على المؤمنين ، وفى الرأفة بهم تحقيقاً لقول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) ، فالذين لا تظهر بهم أخلاق النبوة على مستوى أكبر من مستوى القائمين بالعمل الفردى لا يصلحون للإمامة .

والذين يرون الحل الأمثل هو الفصل من الحركة الإسلامية العالمية الواحدة فراراً من المعالجة الدؤوب ، عليهم أن يعيدوا التأمل ، وعلى إخوانهم أن ينصحوهم .

* الاجتهاد التاسع عشر : يرى الفقهاء أن النفاق على نوعين : نفاق اعتقادى ونفاق عملى ، والنفاق العملى يظهر باختلاف الوعد وبالكذب وبالخيانة وبالغدر .

ونحن نرى أن الخارجية نوعان : خارجية اعتقادية تظهر بالمسارعة إلى لتكفير غير العلمى إلى غير ذلك من أخلاق الخوارج ، وهناك خارجية عملية تظهر بعدم وصول أنوار القرآن والإيمان إلى القلب وتظهر بحداثة العقل ولو أصبح صاحب ذلك ابن ستين ، وتظهر بسفاهة العقول ، فلا حلم ولا رزانة ولا رصانة ، نأخذ من الحديث الصحيح : « يظهر فى آخر الزمان قوم أحداث الأسنان ، سفهاء الأحلام ، قولهم من خير قول البرية ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، إيمانهم لا يجاوز حناجرهم » ، فنحن نخشى من الخارجية الاعتقادية ، ونخشى من الخارجية العملية ، ولذلك

---

(١) التوبة : ١٢٨

فنحن نربى إخواننا على عقائد أهل السُّنَّة والجماعة لنحصنهم من الخارجية الاعتقادية ، ونربى قلب الإنسان وعقل الإنسان ونراقب سلوك الإنسان لنخرجه من الخارجية العملية .

* الاجتهاد العشرون : نحن نُفرِّق بين الإجماع والجماعة بالمعنى الأصولى ، وبين الجماعة بالمعنى الفقهى ، ونفرِّق بين الجماعة بالمعنى الأصولى والفقهى ، وبين الجماعة فى اصطلاحات العمل الإسلامى المعاصر فنحن لا نعطى للجماعة فى العمل الإسلامى الحالى العصمة ، ولا نعطى لقيادة أو فرد عصمة ، ونُخطِّىء مَن يقول : إذا قالت الجماعة شيئاً أو قال التنظيم شيئاً فإننا لا نبحث عن دليل ، فهذا نوع من الغلو ، بل هو بابوية وإمامية ، وقد رأينا نتيجة لذلك أن بعض الناس المنتسبين لتنظيمات تظهر فيهم روح قتلة الحسين ، فهم يرتكبون أبشع أنواع الظلم باسم الإسلام وهم مرتاحو الضمير ، ورأينا بعض قيادات تخدع أتباعها فتصدر حكماً خاطئاً ، ورأينا بعض قياديين تغلبهم الأهواء ، ورأينا بعض قيادات تكذب وتفسق ، ورأينا بعض قيادات تستعمل خداع الشعارات ، فمثلاً البيعة فى الاصطلاح الفقهى غير البيعة فى اصطلاح العمل الإسلامى المعاصر ، وقد رأينا مَن يحاول أن يخدع بعض السذج فيعطى البيعة التى تعطى لبعض أمراء الجماعات الإسلامية مضمون البيعة التى وردت فى الأحاديث النبوية ، ورأينا قيادات تعامل المختلفين معها على أنهم خوارج وتصفهم بالخارجية ، إن الجماعة بالمعنى الاصطلاحى للعمل الإسلامى المعاصر لا تعنى عصمة لأن المشاركين بالقرار ولو أجمعوا فإن إجماعهم ليس معصوماً لأنهم ليسوا من أئمة الاجتهاد ، فضلاً عن أن يُعتبروا مجموع أئمة الاجتهاد فى الأمة ، وهؤلاء إخوة يوسف وهم مَن هم أجمعوا على خطأ كما ذكر القرآن : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَابَةِ الْجُبِّ ﴾ (١) .

* الاجتهاد الحادى والعشرون : نحن لا نرى أن الانتساب لجماعة إسلامية

---

(١) يوسف : ١٥

يمنع من فعل الخير المحقق ، ولا نرى أن الخير المحقق الذى لا يحتمل الضرر للجماعة يحتاج إلى إذن .

ولقد وقع كثيرون من الناس فى الخطأ نتيجة لعدم الفهم هذا ، فقد رأينا أناساً يقولون : لو رأيت إناساً يموت جوعاً فإنى لا أطعمه بل أُقدِّم ما أدفعه له للجماعة ، وهذا خطأ شرعى ، فمَن رأى جائعاً فإنه يجب عليه إطعامه ، وقد رأينا أناساً يمنعون من دراسة كتاب فقه على عالم ليس عنده شذوذ عقدى أو فكرى أو سلوكى ولا يحتمل منه ضرر .

ومن ههنا نقول : إنه لا بد من التأكيد على ما ذكرناه ، فالأستاذ البنا رحمه الله يقول : « فمَن أراد أن يختار لنفسه تربية خاصة فهو وما أراد » .

ولقد كان كثيرون من تلاميذ الأستاذ البنا يتتلمذون على أهل العلم والفضل دون نكير .

* الاجتهاد الثانى والعشرون : نحن نفهم دعوة حسن البنا أنها حب للمسلمين جميعاً إلا إذا وُجِد ما يوجب البغض ، وقد رأينا كثيراً من الناس يبغضون دون سبب شرعى ، ويُجرِّحون حيث لا يجوز التجريح ، مع أن من وصايا الأستاذ البنا عدم تجريح الأشخاص والهيئات ، وقد رأينا كثيراً مِنَ الناس مَن يكسبنا عداوة الأعداد الهائلة من الناس ، وعداوة جماعات وأحزاب وهيئات إسلامية فى جلسة واحدة ، بل رأينا مَن يعادى أولياء وعلماء ، ويتقرَّب فى زعمه إلى الله بذلك .

ولا بد أن يعالَج هذا الأمر بكل الوسائل المشروعة ، فإنه لا تصفو دعوة إذا فقدت روح الأخوة ، ولقد أصدر حبيبنا الحاج عباس السيسى رسالتين تحت عنوان « الدعوة إلى الله حب » فجزاه الله خيراً .

* الاجتهاد الثالث والعشرون : نحن نرى ضرورة التخطيط والبرمجة على كل مستوى ، بل نراه على المستوى الشخصى فضلاً على المستوى العام ، ولقد رأينا الكثيرين يخططون ويبرمجون لطعامهم وشرابهم ومحاضراتهم

ودروسهم حتى إذا حدثتهم عن برمجة أو تخطيط أو خطة لمن يسوسون أمورهم تجاهلوا وتنصَّلوا وادَّعوا أن لا حاجة لذلك ، فهل هؤلاء يعيشون عصرهم أو يستطيعون أن يسوسوا معاصريهم ؟

* الاجتهاد الرابع والعشرون : من أهم ما نحرص عليه هو أن نوجد عقلية البناء والقدرة على البناء ، ولقد رأينا أناساً وضعوا أيديهم على تنظيمات فخرَّبوها ، وعلى أجهزة فجمَّدوها ، ومن العجيب ألا توجد جهة تُقَيِّم وتُقَوِّم .

* الاجتهاد الخامس والعشرون : نحن نعتقد أن القيادة الحقيقية هى التى تمتلك سقفاً مرتفعاً وتطرح نظريات تنظيمية وأنظمة مناسبة ، فالأُمَّة لا تُقاد عبر قيادة سقفها منخفض لأن الناس لا يُسلِّمون لها ، ولا تُقاد عبر نظريات تنظيمية قاصرة ، ولا عبر أنظمة غير معقولة فضلاً عن أن تُقاد بلا قواعد ولا ضوابط ، ولذلك فنحن نتوجه باللَّوم لأنفسنا قبل غيرنا إذا لم نرتق بالقيادات والنظريات التنظيمية .

* الاجتهاد السادس والعشرون : نحن نخشى أن تسرى إلى التنظيم روح غريبة نصَّت عليها آثار بعينها من مثل : عداوة السر وإخاء العلانية ، وحلاوة اللسان وذئبية القلب ، والشُّح المُطاع والهوى المُتبَّع ، والدنيا المؤثرة والإعجاب بالرأى ، وتتبع العورات والحسد ، ولقد رأينا ذلك كله ، وأفظع ما رأينا أن وجدنا أناساً يُبتلون بذلك ويتهمون غيرهم به ، وأهل الآخرة عليهم أن يعالجوا ذلك كله فى أنفسهم وفى غيرهم لأنه لا جماعة ولا صف إذا سرى أى مرض من الأمراض .

* الاجتهاد السابع والعشرون : نحن نرى أن الاستعلاء والاستغناء مطلوبان ، ولكن لا يصح الاستعلاء على أهل الإيمان ، قال تعالى : ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) ، ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) .

---

(١) المائدة : ٥٤ (٢) الحجر : ٨٨

ولا يصح الاستغناء عن أهل الإيمان قال تعالى : ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم ﴾ [1] .

* الاجتهاد الثامن والعشرون : نحن نرى ضرورة الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر داخل الصف بشروطه الشرعية فقط ، وقد رأينا أناساً يحظرون ذلك تحت شعار النقد عبر المؤسسات ليستروا عوراتهم ، ولتبقى الأمور سائرة فى طريق الخطأ ، ولذلك نقول : إنه لا بد من التمييز بين النقد الذى لا يكون إلا عبر المؤسسات وبين الحالة التى يجب بها التواصى والتناصح والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بالشروط الشرعية لذلك .

* الاجتهاد التاسع والعشرون : إننا نرى الإنسان إذا استُفتى أو استُنصح أو قضى يجب أن يتجرد للعدل والحق ، ونرى أن ظهور هذه الأمور فى الصف الإسلامى هو الذى يرشحه لإظهار الحق والعدل على مستوى الأُمَّة ، ولقد رأينا أناساً تغلبهم الأهواء ، وهم مَن هم ففجعنا مرتين : مرة بالواقع ، ومرة بشعورنا أن آمالنا فى إظهار الحق والعدل قد لا تتحقق على الكمال والتمام على مستوى الأُمَّة .

* الاجتهاد الثلاثون : نحن نرى أن على العاملين للإسلام أن يوائموا بين استمرارية وجود الأُمَّة الإسلامية ، وبين استمرارية الدعوة ، وأن يوازنوا بين المواقف التى تفقدهم الوجود ، وبين المحافظة على الوجود ، وكثيراً ما ننصح العاملين للإسلام بألا يُفرِّطوا بوجود الصف الإسلامى من أجل موقف لا يتناسب مع كل هذه التضحية ، والموازنة صعبة ولكن لا بد منها

* * *

---

(١) التوبة : ١٢٨

الفصل الثامن عشر

فى الموقع التنظيمى والموقع الرسمى والكفاءة الذاتية

فى العمل الإسلامى الجَماعى لا بد من احترام الموقع التنظيمى ، ففى داخل التنظيم يتعامل الناس على أساس الرتبة التنظيمية ، وعندما يصبح حزب إسلامى فى الحكم تصبح الرتبة التنظيمية والرتبة الرسمية على حد سواء ، وقد يرى القائمون على الأمر أن يُقدِّموا غير الرئيس الحزبى للحكم لمصلحة ما ، وعندئذ فعلى هذا الرجل أن ينفذ سياسات الحزب ضمن ما يستطيع .

وهناك حالة لا يكون فيها الحزب الإسلامى فى السُلْطة ، وعندئذ قد يكون هناك فارق بين الموقع الرسمى والموقع التنظيمى ، فالمفروض أن يتعامل مع الموقع الرسمى بكل آدابه ، وقد يحدث أن أحد أفراد التنظيم يصل إلى أن يكون رأس السُلْطة ولكن بغير اسم الحزب الإسلامى ، فالمفروض فى هذه الحالة أن يعامل بالاحترام الكافى وأن يعامل كرئيس للدولة لا كتابع للتنظيم ، ومما يُنسب لأحد الأئمة قوله :

« إذا رفع الزمان مكان شخص	وكنت أحق منه ولو تصاعد
أنلـه حق رتبتـه تجـده	ينـيلك ما تريـد ولو تباعد
ولا تقل الـذى تـدريه فيـه	تكن رجلاً عن الحسنى تقاعد
فكم فى العرس أحلى من عروس	ولكن للعروس الدهر ساعد »

إن الرجل عندما يصل إلى السُلْطة يصبح هو ولى الأمر ، ولا يُلزَم إلا بإجماع العلماء وإلا بالقواعد الدستورية والقوانين المتفق عليها ، فالمسلمون عند

شروطهم ، فولى الأمر إذن الذى يملك سُلْطة التنفيذ هو الذى يمتلك حق الطاعة بالمعروف ، وإذا أراد حزب إسلامى أن يتعامل مع ولى الأمر بغير ذلك ، فإن الأمر معرَّض لفساد كبير ، وهناك حالة يتعارض فيها العمل العام والموقع التنظيمى مع الكفاءة الذاتية ، فههنا نُفرِّق بين الوضع داخل التنظيم وبين الوضع خارج التنظيم ، فعندما نريد أن نواجه وضعاً خارج التنظيم فالعبرة أن تُقدَّم الكفاءة الذاتية ، ألا ترى أن الفقهاء قالوا : فى حالة الحرب يُقدَّم القوى الفاجر على الضعيف الأمين ، وعلى ذلك يُقاس ، فكيف إذا كان القوى عدلاً لكنه أقل درجة تنظيمية ، فعندئذ ينبغى أن تُقدَّم الكفاءة الذاتية ، والشىء الذى يُخشى منه فى هذه الحالة أن يحدث شذوذ عن الإسلام أو يترتب ضرر ، فعندئذ يُتدخل ضمن حدود اللباقة فيزال الخطأ أو الضرر ، ويمكن أن تتم معاتبة داخل التنظيم ، والمعاتبة فى هذه الحالة ينبغى أن تكون معاتبة رفيقة رقيقة ، فالله عَزَّ وجَلَّ يحب الرفق ويعطى على الرفق ما لا يعطى على ما سواه ، وقد لاحظنا أن بعض القائمين على العمل الإسلامى يتعاملون مع إخوانهم بجبروت عظيم ويدخلون مع إخوانهم فى خصومات تُفتقد فيها الأخوة والمودَّة وهذا يتنافى مع فكرة التجمع الإسلامى أصلاً ، فإذا كان الله عَزَّ وجَلَّ أمرنا أن نتعامل مع الخصوم بالتى هى أحسن ، فما بالك بالإخوة والأصدقاء ، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ، ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إلا الَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (١) .

* * *

---

(١) فصلت : ٣٤ - ٣٥ .

الفصل التاسع عشر

فى القيادة من خلال الحركة والحكمة
وبُعْد النظر والسنن الإلهية

هناك مَن يتوهمون أن الشرعية النظامية كافية وحدها للتسليم من قِبَل الآخرين ، والانقياد والطاعة ، وهذا ليس صحيحاً ، وإلا لماذا تقوم الانقلابات والنزاعات ، وتاريخنا الإسلامى ملىء بالشواهد ، فقطز الذى انتصر فى معركة عين جالوت قُتِل بأيد إسلامية .

وهناك مَن يتصور أن السابقة وحدها كافية لتسيير الأُمور وضبطها ، والواقع ليس كذلك ، وهذا تاريخ العالم يشهد بخلاف ذلك ، وهذا تاريخنا الإسلامى ملىء بالشواهد ، ألا ترى أن عثمان رضى الله عنه كان يمتلك سابقة لا مثيل لها ، وشرعية نظامية لا مثيل لها ، ومع ذلك خُرِج عليه وفضَّل أن يُقتل بدلاً من أن يُقاتِل ، وكان الحزم أن يقتل رؤوس الفتنة جميعاً ، ونحن لا نعترض على ما فعل ، بل ذلك يُقرِّبه إلى الله ، ولكن الحزم - وذلك شىء جائز ، وذلك مباح له - أن يقاتل أولئك المتمردين ، ثم ألا ترى أن علياً رضى الله عنه قد اجتمع له من السابقة ما لم يجتمع لسواه ، ومع ذلك كانت فترة خلافته خروجاً عليه وحروباً مستمرة ، ثم قُتِل رضى الله عنه ، وقد نصحه أقرب المقرَّبين إليه أن يستعمل الدهاء لضبط الأمور ، ولكنه رفض إلا المواجهة والمجابهة وتحقيق قناعاته ، ونحن لا نعترض على ما فعل بل هو سُنَّة راشدة ، لكن كان فى بعض الأمور أمام خيارات مباحة ، فاختار الطريق الأصعب .

إن قيادة كل شعب وكل مجموعة تحتاج إلى شروط مناسبة ومكافئة ، وبدون استجماع هذه الشروط ينتقض الأمر ، ثم إن الفاعلية شرط القيادة الناجحة سواء باشر ذلك القائد نفسه أو حرَّك مساعديه ، وبدون الحركة الفاعلة لا يمكن أن تنجح قيادة ، بل إنه فى كثير من الأحيان لا يقود عملياً إلا الأكثر فاعلية ولو لم يكن هو القائد الرسمى ، ويجب أن يستشعر كل فرد - إن كان منصفاً - حكمة القيادة ، ويسلِّم بها ويستسلم لها ، وعلى القيادة أن تُثبت من خلال الواقع أنها أبعد نظراً وأكثر حكمة ، وهذا قد لا يتأتى فى كل شىء ، ولكن يكفى أن يظهر ذلك فى بعض الأُمور ليُقاس عليه غيره .

* * *

الفصل العشرون

لا عصمة للتنظيم الإسلامى ولا لمؤسساته ولا لأى قيادة غير قيادة الرسل عليهم الصلاة والسلام

لقد أشرنا إلى هذا الموضوع فى فصل الاجتهادات ، وإنما أردنا ههنا تأكيده لنعرف أنه لا بد للعاملين للإسلام أن يحتملوا - ولو احتمالاً بسيطاً - أنهم أخطأوا فى بعض الأمور .

والمشكلة هى أن ميزان الثقة بالقيادة أن يترك الإنسان رأيه لرأى القيادة ، ولكن حل هذه المشكلة يكمن فى توارد الكثيرين على أن شيئاً ما كان خطأ ، فعندئذ يجب على القيادة الناجحة أن تفكر .

وقد طرأت على الفكر الإسلامى أفكار غريبة عنه من مثل أن بعض القيادات تستفظع الرجوع عن قراراتها ولو كانت خاطئة ، على زعم أن ذلك يُفقد القيادة هيبتها ، فأين ذلك مما نذكِّر به الناس صباح مساء أن عمر تراجع لمراجعة امرأة إياه .

وكلنا يعرف أن الحرب تقتضى مزيد انضباط ، ومع ذلك نص فقهاء الحنفية أن الأكثر إذا رأى فى قرار الأمير ضرراً فإن رأى الأكثرية يُتَّبع إذا لم يكن الحامل عليه هو الهوى .

لقد جعل الله العصمة لرسوله ﷺ ، ثم جعل العصمة من بعده للأُمة بمجموعها متمَثلاً ذلك بإجماع أهل الاجتهاد فيها ، وما عدا ذلك فليس بمعصوم .

صحيح أن الرأى الشورى أقرب إلىٰ الصواب ، ورأى المؤسسات أقرب إلى الصواب ، ولكن لا بد أن نتصور أن هناك هامشاً للخطأ إما بسبب المعلومات الخاطئة وإما بسبب الأهواء أو بسبب قوة لحن الخطاب .

ألا ترى أن إخوة يوسف مع ما هم فيه من فضل ، وأنهم من بيت نبوة، أجمعوا على خطأ كبير ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَابَةِ الْجُبِّ ﴾ (1) ، ألا ترى أن عمر رضى الله عنه مع أنه كان فى الغالب لا يُبرم أمراً إلا عن شورى كان يكثر من قوله : لو استقبلتُ من أمرى ما استدبرت ما فعلتُ كذا ، أو لفعلت كذا . . مسمياً ذلك الأمر .

ذلك كله يجعلنا لا نعطى العصمة لا لرأى حاكم ولا لقرار قائد ، ولا لقرار مؤسسة ، هذا مع أنه يُندب لنا أن نطيع فيما لا حُرْمة فيه ولا ضرر .

لقد غلب على الإسلاميين مفاهيم جاهلية ، إذ يعطون العصمة للتنظيم ، ولو ثبت خطؤه الشرعى أو المصلحى ، وبهذه المناسبة لا بد من توضيح فكرة وهى أن الطاعة للتنظيم ليست كالطاعة لأمير المؤمنين ، فأمير المؤمنين إذا أمر بمباح للمصلحة فقد أصبح واجباً ، ومع ذلك فقد استثنى العلماء من ذلك ما لو أمر بما يخالف السُّنَّة أو يخالف مذهب الإنسان الفقهى ، فعلىّ رضى الله عنه قد ثبت عنه أنه قد خالف أمر عثمان عندما رآه مخالفاً للسُّنَّة ، ونص الألوسى فى تفسيره على جواز أن يتهرب الإنسان من طاعة ولى الأمر إذا خالف أمره المذهب الفقهى للإنسان ، ومن ههنا فإن الطاعة فى التنظيمات الإسلامية مقيَّدة بما اتفق عليه أهل التنظيم من قواعد وشروط ، كما أنها مقيَّدة بألا تخالف القناعات الشرعية للإنسان ، وإننى أفتى وقد وافقنى على ذلك مَن أطمئن إلى علمه من بعض أئمة الفتوى ، ووجدت فى كتب الفقه : أن مَن أعطى عهداً لجهة إسلامية فالأمر يدور بين إباحة طاعتها أو وجوبه على حسب نص

---

(1) يوسف : 15

العهد ، ومَن عاهد على الطاعة فإنه يجب عليه الوفاء فيما لا معصية فيه ولا ضرر ، لكنه إذا رأى بالموازيين الشرعية أن غير ما عاهد عليه هو خير مما عاهد عليه فحكم العهد فى هذه الحالة حكم اليمين عند الحنفية ، فله أن يحنث فيه وعليه كفَّارة يمين ، وقد نقل البغوى فى شرح السُّنَّة ذلك عن الحنفية ، وفُهِم من كلامه أن فقهاء الشافعية لا يعتبرون أن مَن قال : « علىَّ عهد الله » لا يعتبرون ذلك يميناً ، ومقتضى القواعد الفقهية أن مَن خالف عهده لملحظ شرعى أو مصلحى فى أوضاعنا الحالية فعليه الاستغفار على مقتضى مذهب الشافعية ، وإنما دعانا إلى هذا التفصيل أن بعض القيادات الإسلامية تفترض دون أن تملك سُلْطة تنفيذية أن لها حق الطاعة المطلقة كما للخليفة الراشد أو لذى سلطان راشد ، ولذلك فإنها لا تبالى بأن تقوم بحق القيادة فى الإحسان مع أن الله تعالى قال لليهود : ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ ، وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ (١) .

* * *

(١) الإسراء : ٧

الباب الثانى

فى ساحات التخطيط
للعمل الإسلامى المعاصر

- فى التخطيط لأستاذية العالم .
- فى التخطيط لتحقيق الأهداف .
- فى التخطيط التعليمى الثقافى التربوى .
- فى التخطيط الدَعَوى .
- فى التخطيط الإعلامى .
- فى التخطيط السياسى .
- فى التخطيط الأمنى .
- فى التخطيط الجهادى .
- فى التخطيط الاقتصادى والمالى .
- فى التخطيط التنظيمى والإدارى .
- فى التخطيط لتدريب الدعاة والقادة .
- فى التخطيط للاستفادة من المناخ المواتى وعدم التفريط فيه .
- فى التخطيط لدرء مخططات الخصوم .
- فى التخطيط لإصلاح العمل الإسلامى الموجود وتطويره وتعميم المفاهيم الصالحة .
- فى التخطيط لإنماء العلاقات والخدمة الاجتماعية والقيام بالمناسبات .
- فى التخطيط لتعميق الثقة وتعميم النصيحة .
- فى التخطيط للعمل النقابى .
- فى التخطيط للطلاب والشباب .
- فى التخطيط للعمل الإسلامى فى الريف والبدو .
- فى التخيط للعمل النسائى .

مقدمة الباب

ما من إنسان إلا وللتخطيط في حياته مكان ، يكبر أو يصغر ، يأتى أحياناً بشكل عفوى وأحياناً بعد تدبير وتفكير ، وكلما كثرت دائرة العلاقات الإنسانية أو وُجِدت أهداف ضخمة كان التخطيط أكثر ضرورة ، وأكثر تنوعاً ، فهناك التخطيط الجزئى لقضية جزئية ، وهناك التخطيط الشامل لقضية كلية ، وهناك التخطيط المرحلى لتحقيق أهداف بعيدة المدى .

وقد أصبح التخطيط فى عصرنا سـمة ملازمة لكل شىء ، فبدونه ما كان للإنسان أن ينزل على سطح القمر ، أو يتصل بأخيه الإنسان فى الجانب الثانى من الأرض ، أو يحرز هذا التقدم الكبير فى كل جانب من جوانب المدنية ، وعصر هذا شأنه لا يصح أن تنطلق فيه الحركة الإسلامية العالمية بلا تخطيط .

عندما نتحدث عن التخطيط فى العمل الإسلامى ، وللعمل الإسلامى ، فإننا نعنى التخطيط لتحقيق الأهداف الإسلامية مراعىً فى ذلك الزمان والمكان.

فالأصلُ فى التخطيط إذن أن تكون ساحاته هى ساحات المقاصد الإسلامية كلها ، سواء أكانت فردية أو جَماعة أو محلية أو عالمية .

ومن ههنا فالساحات التى يحتاج المسلم أن يخطط لها كثيرة جداً لا تدخل تحت حصر ، وأهم الساحات التى لا يصح أن تغيب عن بال المسلمين هى ساحات التخطيط التى سنعرض لها فى هذا الباب مفترضين أن التذكير بهذه الساحات له أهميته وهو أنموذج يُقاس عليه ، كما نفترض أن كل ساحة من هذه الساحات ينبغى أن يوجد لها متخصصون على كل مستوى ، حتى إذا أتيحت ظروف مناسبة اجتمع هؤلاء المختصون على مستوى قطر أو على

مستوى العالَم ليتدارسوا ويتشاوروا أو ليراسل بعضهم بعضاً أو تكون لهم مجلة تنقل أخبار بعضهم إلى بعض ، وبذلك تكون الأمة الإسلامية على مستوى العالم قد أحكمت خططها وتخطيطها وانتقلت تجاربها بعضها إلى بعض ، ومدَّت يد المساعدة لسد أى ثغرة فارغة من ثغرات العمل الإسلامى ، فهھنا فى فصول هذا الباب ذكرنا أهم أنواع التخطيط التى تلزم لإقامة الإسلام وتحتاجها الأُمة الإسلامية ، ويجب أن تُصاغ لها النظريات التنظيمية وأن يأخذ ذلك طريقه إلى التنفيذ .

والنظريات التنظيمية المطلوبة بعضها بسيط وبعضها مركَّب ، وهناك سؤال كبير يطرح نفسه : مَن هى الجهة المركزية التى تتولى رعاية أو إيجاد التخطيط اللازم والتنظيم اللازم وتتابع تنفيذ اللازم ؟

هناك أكثر من جهة مرشحة لهذا الدور ، ولكن كل جهة موجودة مرشحة لهذا الدور تحتاج إلى تطوير نفسها ، لأنها فى وضعها الحالى قد تستطيع القيام ببعض الأمر ، والمطلوب أن توجد الجهة التى تقوم بكل الأمر .

نحن نفترض أن تلاميذ دعوة الأستاذ البنا مرشحون أكثر من غيرهم لأن يكونوا النواة الفطرية لمتابعة كل الجوانب التى يحتاجها التخطيط للإسلام على مستوى العالَم ، ولذلك فإننا ننتدبهم لهذه المهام الكبيرة أكثر من غيرهم ، على أن كل مسلم على أى مستوى مطلوب منه أن يفكر وأن يعمل بالقدر المتاح له على ضوء الحكمة والبصيرة الربانيتين اللتين يمتاز بهما المسلمون العاملون .

وإلى فصول هذا الباب . . . .

الفصل الأول

فى التخطيط لأُستاذية العالَم

بدأنا هذا الباب بهذا الفصل ليفطن المسلم إلى أن مكانه الحقيقى فى هذا العالَم هو مقام الأُستاذية .

فالكافرون بلغوا ما بلغوا يعلمون ظواهر الماديات ، وعند بعضهم بقايا من هدى الأنبياء السابقين قد اختلط بباطل كثير ، قال تعالى عن الكافرين : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (١) ، وقال تعالى عن بقايا أهل الكتاب : ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُواْ الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ (٢) .

وهكذا . . فالكافرون يحتاجون إلى جهة تعطيهم يقيناً وتعطيهم علوماً هم بحاجة إليها ، فهم مثلاً بحاجة إلى مَن يعلمهم ماذا يجب عليهم الإيمان به من أمر الغيب ، وإلى مَن يعلمهم ماذا افترض الله عليهم ، وإلى مَن يعلمهم الحكمة بحيث يضعون كل شىء فى محله ، قال تعالى : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

وهنا تختلط على المسلم وغير المسلم أُمور ، فغير المسلم قد يكون أسبق فى الماديات من المسلم ، قال تعالى : ﴿ لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي الْبِلادِ ﴾ (٤) ، وقد يحس المسلم بعقدة النقص أمام الكافرين فلا يقوم بواجب الأستاذية ، وهذا خطأ كبير .

---

(١) الروم : ٧
(٢) الشورى : ١٤
(٣) البقرة : ١٥١
(٤) آل عمران : ١٩٦

وللقيام بدور الأُستاذية فإن المسلمين مُطالَبون بالارتقاء الثقافى والروحى فى أنفسهم كما يُطالَبون بحُسن الخطاب ، فمَن لم يملك ارتقاءً فى نفسه يصعب عليه أن يُحسن الخطاب ، وحُسن الخطاب يظهر فى أمور كثيرة لا يمكن الإحاطة بها لأن كل إنسان وكل جهة تحتاج إلى نوع خاص ، فإذا ارتقى الإنسان بنفسه بقى أن يتقن حسن الخطاب ، وهذا يتطلب على المستوى الفردى ثلاثة أشياء :

الشيء الأول : ألا يُطالب المخاطب بأعلى ما ذكره الفقهاء أو بأشد الأقوال فى المسألة الواحدة .

الشيء الثانى : أن يلامس نقاط الضعف عند الإنسان ، فكل إنسان بحاجة إلى يقين ، إلى معرفة بالله وطمأنينة قلب وحسن عبادة ، وهذا لا يتأتى إلا عبر الإسلام .

الشيء الثالث : أن يبدأ بالدعوة إلى الله من الأهم فالمهم ، فالتوحيد وتعميق الثقه بالقرآن وبالرسول ﷺ مقدمة على غيرها ، ألا ترى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر معاذاً عندما وجَّهه إلى اليمين أن يبدأ بدعوتهم إلى « لا إله إلا الله » فإن هم أجابوا لذلك دعاهم إلى الصلاة ؟

وإذا كانت هذه الأشياء الثلاثة يقتضيها حُسن الخطاب لكل فرد ، فإن حُسن الخطاب للمجتمعات يقتضى مزيد ثقافة وارتقاء وحُسن خطاب :

فالمجتمع الغربى يحتاج إلى حُسن خطاب خاص به ، والمجتمع الشيوعى يحتاج إلى حُسن خطاب خاص به ، والمجتمع الهندى ، والمجتمع الأسود، وكل مجتمع من المجتمعات يحتاج إلى حُسن خطاب خاص به .

فالمجتمع الأسود مثلاً يركِّز على سبق الإسلام فى أن الأسود قد يكون عند الله عَزَّ وجَلَّ خيراً من الأبيض وهكذا ، فآية : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [1] يكون لها تأثير قوى فى هذا المقام .

---

(١) الحجرات : ١٣

والمجتمعات البرهمية التى تقوم على فكرة الطبقات يمكن أن تُخَصّ بحديث يكون له ثماره .

والمجتمعات الديمقراطية ينبغى أن تُعرَّف على أنه إذا لم تتجاوز الثوابت المتمثلة فى الكتاب والسُّنَّة فلا حَرَج عليها فى ديمقراطيتها .

ولا يصح أن تُخاطَب المرأة فى بعض المجتمعات من خلال وجهة نظر فقهية ، فأى حكمة مثلاً تظهر عند داعية إلى الله يقول للمرأة الأوروبية : إن صوت المرأة عورة ، مع العلم أن هذه القضية خلافية .

وهكذا يجب أن يوجد متخصصون فى الدعوة على مستوى المجتمعات ويجب أن يوجد تخطيط لذلك ، فهناك شعب إسلامى يعيش بين ظهرانيه ناس غير مسلمين ، وهناك شعوب تعيش بينها أقليات إسلامية ،وهناك شعوب لا تعرف الإسلام من خلال أقوال دعاته .

فالتخطيط يجب أن يشمل ذلك كله بحيث يكون فى كل مجتمع متخصصون فى دعوة غير المسلمين إلى الإسلام من خلال الحكمة والموعظة الحسنة والدعوة بالتى هى أحسن .

وههنا نصل إلى نقطة أخرى فى التخطيط لأُستاذية العالَم وهى أنه قد آن الأوان لإظهار أستاذية العالَم فى كل مشكلة عالمية ، فمشكلات الجريمة ، ومشكلات الفقر والجوع ، ومشكلات الربا ، والمعاملات الخاطئة ، والقيود غير المعقولة بين الشعوب ، والتميز العِرْقى ، والموقف من الأسلحة المستعملة فى الحروب ، واحتياج العالَم إلى ضوابط يتعامل على ضوئها بسبب ما طرأ على العالَم وعلى الأسلحة الفتَّاكة من جديد ، كل ذلك وأمثاله يجب أن يكون للإسلام فيه كلمة وللتخطيط الإسلامى فيه نصيب .

ويتوضح حول هذا النوع من التخطيط أشياء كثيرة ، فقد تكون كل أنواع التخطيط المفصَّل فى الفصول اللاحقة تخدم هذا النوع من التخطيط ، فالترجمة والإعلام والمواقف السياسية وغير ذلك مرتبطة نوع ارتباط بهذا النوع من التخطيط .

المهم أن على المسلمين أن يفكروا فى أن يؤدوا واجبهم كاملاً نحو هذا العالم بالتخطيط لاستلام زمام القيادة والريادة فيه .

إنَّ هذا العالم بحاجة إلى حكمة المسلمين وإلى موعظتهم وإلى دعوتهم ، نقول هذا مع علمنا أن بعضاً من المسلمين يَصدُّون عن الإسلام بسوء تصرفاتهم .

* * *

الفصل الثانى

فى التخطيط لتحقيق الأهداف

لقد حدد الأستاذ البنا العمل الإسلامى المطلوب فى عصرنا من إنشاء الفرد المسلم ، إلى إيجاد الأسرة المسلمة ، إلى وجود الشعب المسلم . . . إلى ما سوى ذلك .

فكثير من درجات العمل الإسلامى المطلوب فى عصر دخل بشكل عفوى أو مخطط فى دائرة تخطيط الدعاة ، ولكن المفروض أن يكون واضحاً فى ذهن الدعاة - ولو بشكل إجمالى - ما هو الطريق إلى كل هدف ، وما هى الوسائل المباشرة وغير المباشرة لتحقيق هذه الأهداف .

نحن نفترض أن يوصل العقل الإسلامى المخطط المنظم الأُمة الإسلامية إلى أهدافها ، وهذا يقتضى أن يوجد أناس ساهرون على التخطيط لإيصال الأُمة إلى أهدافها ، وهذا النوع من التخطيط هو أعقد أنواع التخطيط فى عصرنا لأن العقبات التى تحول دونه كثيرة وهذا يقتضى من المخططين أن يعرفوا كيف يتجاوزون العقبات على مقتضى عالم الأسباب ، وفى حدود المباح شرعاً .

إنه لمن الصعوبة بمكان أن نحدد الطريق لكثير من الأهداف ، ولكن لو تصورنا مجموعة البدائل للصيغ المباحة شرعاً لأصبح من السهل إلى حد كبير معرفة السبل لتحقيق هذه الأهداف ، فمثلاً عندما نعرف أن صور الوحدة لشعوب الأمة الإسلامية يمكن أن يكون له مظاهر متعددة ، وإذا عرفنا أن أى خطوة تساعد على أى نوع من أنواع الاتحاد مباحة ، فهذا يجعلنا نعرف كيف نتلمس خطواتنا فى هذا السبيل .

ومن ههنا يجب أن تدخل فى دائرة دراساتنا كل الدعوات وكل المؤسسات التى تتجاوز حدود أقطارها إلى غيرها لنرى آثارها السلبية أو الإيجابية على

مستقبل ما نريد ، وبناءً على ذلك يكون تخطيطنا للوصول إلى هذا الهدف مثلاً ، وهناك أمور صغيرة أو كبيرة لها تأثيرها على أى هدف من الأهداف ، وبالتالى فإنها يجب أن تدخل فى دائرة دراساتنا ، ألا ترى - مثلاً - أن صعوبة الحصول على تأشيرات الدخول والخروج عامل من عوامل إبعاد المسلمين عن بعضهم وأن لذلك آثاره الاقتصادية والسياسية والدعوية ، وأن المحصلة النهائية لهذه القضية - على بساطتها - تترتب عليه أضرار كثيرة تعرقل الوصول إلى كثير من الأهداف .

وهذا نموذج بسيط على أنه ينبغى أن ندخل فى دائرة الدراسة والتخطيط للوصول إلى أهدافنا أموراً كثيرة .

وإذا وُجِد الوعى على الأهداف وعلى وسائل تحقيقها فإن كثيراً من أبناء الأمة الإسلامية يستطيعون أن يؤدوا أدواراً كبيرة فى مواقعهم التى يحتلونها ، فمثلاً هذا الموظف القادر على منح تأشيرة دخول الداعية إلى الله إلى بلاده يؤدى دوراً هائلاً فى تحقيق الأهداف كلها ، فهو يخدم الدعوة الإسلامية ، ويخدم تعارف المسلمين ، ويخدم المصلحة الاقتصادية لشعبه . . . إلى غير ذلك .

نحن هنا نحب أن نُلفت النظر إلى أنه لا يصح أن يبقى هدف من أهدافنا بلا تخطيط يقربنا إليه بإذن الله .

والأمر أكبر من أن يحيط به إنسان لأن التصرفات التى تساعدنا على تحقيق أهدافنا يصعب تحديدها ، والمطلوب تصورات مجملة وأُفق رحيب وتربية صحيحة وأن يؤدى كل مسلم واجبه على ضوء ذلك .

* * *

الفصل الثالث

فى التخطيط التعليمى الثقافى التربوى

إنَّ الأفكار الهادية فى التخطيط التعليمى للأُمة الإسلامية هى :

أولاً : إن هناك فروضاً عينية وفروضاً كفائية ، ويتفرع عن ذلك أن هناك فروض عصر وفروض وقت وفروض مكان ، ورسالتنا « فلنتذكر فى عصرنا ثلاثاً » توضح هذا الموضوع .

ثانياً : إن التبحر فى أى فرض من الفروض مندوب إليه ، ومن ثَمَّ فإن القائمين على أى فرض من الفروض ينبغى أن يتبحروا فيه ليكونوا رجال قمة .

ثالثاً : فروض الكفاية تشمل كل ما يحتاجه المسلمون لإقامة الدين أو الدنيا ، وإذا تعين إنسان ما لفرض من فروض الكفاية أصبح فى حقه فرض عَيْن لا يصح عزله ولا اعتزاله ، ولا تنكبه عن القيام بهذه الفريضة .

رابعاً : يدخل فى فروض العصر أن يستوعب المسلمون الجديد ، ويقابلوا كل شىء بما يكافئه ، فمثلاً لا تكفى الثقافة المتوارثة للوقوف أمام الفكر الكافر المستجد ، فلا بد أن يقابلوا هذا الفكر الجديد بما يقابله .

خامساً : قد ينتشر فى مكان ما بدع أو توجد تكتلات معادية للإسلام وعندئذ يُفترض على أهل ذلك المكان أن يقابلوا ذلك بما يكافىء .

سادساً : كل طارىء يطرأ على الأُمة الإسلامية أو على قطر من أقطارها أو على فرد من أفرادها يجب أن يُقابَل بتعليم مكافىء ، وموقف مكافىء .

إن المخططين للثقافة الإسلامية عليهم أن يلحظوا هذا كله،ولن يستطيع هذا

أفراد ولا جهة شعبية فقط بل لا بد من تضافر جهود فردية وجَماعية وحكومية لتحقيق هذا كله .

وكثير من العلوم المعاصرة لا تُستطاع إلا من خلال التغريب فلا يصح أن نقابل التغريب بهجوم مطلق بل علينا أن نحصن المغتربين .

وكثير من فروض العصر أو الوقت أو المكان لا تدخل فى دائرة التعليم الحكومى أو الرسمى ، فعلى الإسلاميين أن يقوموا بهذا الواجب ، وعليهم أن يشجعوا كل عمل حكومى يساعد فى تأدية فكرة من الأفكار الهادية التى ذكرناها وعليهم أن يكملوها ، وأكثر ما ينبغى أن يركزوا عليه هو نشر الثقافة الإسلامية الحديثة فى المؤسسات العلمية عامة ، والمؤسسات والمعاهد الشرعية خاصة .

إن نشر الكتاب الإسلامى الموثَّق - سواء أكان كتاباً قديماً أو حديثاً - على أكبر قدر من المثقفين يُعتبر من أهم القضايا التى ينبغى أن يخطط لها المهتمون بالتخطيط الثقافى للأُمة الإسلامية .

والتعليم المسجدى وحلقات البيوت والدورات المقامة فى المساجد ، والمؤتمرات الإسلامية من أهم ما ينبغى أن يفكر فيه المخططون الإسلاميون ، ولعل التركيز فى كل بلد إسلامى على مسجد يكون مركز شعاع علمى فى كل أصول الثقافة الإسلامية يمكن أن يكون منطلقاً عظيماً لإقامة الإسلام على مستوى العالَم كله .

وإذن فالتخطيط التعليمى هو أهم أنواع التخطيط - لأن كل ما عداه متوقف عليه - ويدخل فى التخطيط التعليمى التخطيط لإيصال العلوم المفروضة فرض عَيْن لكل مسلم ، والتخطيط لإيجاد المسلم الكامل ، والتخطيط لإيجاد المسلم المختص بفرض من فروض الكفاية ، والتخطيط لإيجاد الاختصاصات التى تغطى احتياجات الأمة الإسلامية على مستوى الدين والدنيا بما يكافىء العصر ، وهذا يقتضى وضع المناهج اللازمة والمناسبة ، فالعثور على المنهج والنظرية التنظيمية المناسبة لذلك والنظرية الأمنية التى تعطى التخطيط التعليمى صفتى

الاستقرار والاستمرار ، والتخطيط لإيجاد تعاون بين المدرسة والمسجد والبيت لتحقيق معالم التخطيط التعليمى ، كل ذلك يدخل فى باب التخطيط التعليمى على المستوى المحلى والعالَمى .

والمطلوب أن توجد جهة مركزية لها فروع فى كل مكان تسهر على التخطيط الثقافى للأُمة الإسلامية ، وهذه الجهة تسهر - فيما تسهر عليه - على الإجابة العملية على نقاط ثلاث :

أولاً : كيف توجد المؤتمنين على الثقافة الإسلامية الصحيحة ونشرها ؟

ثانياً : ما هى الثقافة التى يحتاجها كل مسلم ملاحظاً فى ذلك فروض العَيْن وفروض الكفاية وفروض العصر والوقت والمكان ؟

ثالثاً : ما هى الطريقة المثلى التى نوصل بها الثقافة الإسلامية الكافية لكل مسلم ومسلمة ؟

مع ملاحظة أن المطلوبات العينية أو الكفائية لا يكفى الجانب الثقافى وحده. لإقامتها ، بل لا بد لقيامها من أشياء أخرى تستتبع الثقافة . فالملاحظ أن كثيراً من فروض الكفاية فى العالَم الإسلامى لا يعطى أهمية ، كما أن الملاحظ أن كثيراً من فروض الكفاية لا يُعطَى تطبيقاته على أرض الواقع ، فوجود كلية للزراعة مثلاً مهم لإيجاد علوم الزراعة المفروضة فرض كفاية ، ولكن أن يكون لهؤلاء الخريجين تطبيقهم العملى ومشاريعهم العملية ، فذلك الذى يعطى فروض الكفاية هذه مداها .

إن الملحقين الثقافيين فى العالَم الإسلامى كثر ، وليس التعرف على المناهج الدراسية فى أى دولة من الدول سراً فى الغالب ؛ فلو أن كل ملحق ثقافى فى دولة تتبع أنواع النشاطات التعليمية والمناهج الدراسية ، وكانت هناك جهة مركزية فى العالم الإسلامى تستفيد مما عند شعوب العالم من معطيات ، ثم إنها تعمل على نقل القضية المفيدة ، لكان فى ذلك خير كثير .

إن تخطيطاً تعليمياً تتضافر عليه جهود حكومية وشعبية هو الأساس لحل المشكلات الكثيرة للأمة الإسلامية .

إنه لا بد من تعاون بين التدريس الحكومى والتدريس الشعبى ، وبين التعليم

المسجدى والتعليم البيتى لحل مشكلات الثقافة والحضارة فى الأمة الإسلامية .

وإنه لمن الأهمية بمكان أن نذكِّر بهذه المناسبة بما يلى :

إن نجاح العمل التعليمى التربوى الروحى يتوقف على وجود العالِم العامل الوارث الحكيم الزاهد وذلك هو الربانى : ﴿ وَلَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ (١) .

والنجاح الذى يحققه الولى المرشد لا يحققه غيره : ﴿ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُّرْشِداً ﴾ (٢) .

ووجود طائفة الأولياء المرشدين فى كل دائرة سكانية بحيث يغطون احتياجات هذه الدائرة من التفقه والتذكير مطلب إسلامى كبير ، قال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ ﴾ (٣) .

ولا نجاح فى تجميع المسلمين على الحق إلا إذا وُجِد الأولياء المرشدون ، لأن هؤلاء هم أول مَن يدخل فى صفة الصادقين الذين أمر الله بالكينونة معهم ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٤) ، ﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ (٥) .

ولا تلتقى القلوب على أحد إلا إذا ظهرت فيه الوراثة الكاملة ، فظهرت السياسات النبوية بالحلم والرأفة واللين والحرص على المسلمين : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً ﴾ (٦) ، ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ، فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى الأَمْرِ ، فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ ﴾ (٧) ، ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ، وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ (٨) أى وهو أبوهم ،

---

(١) آل عمران ٧٩ (٢) الكهف : ١٧ (٣) التوبة : ١٢٢
(٤) التوبة : ١١٩ (٥) لقمان : ١٥ (٦) الأحزاب : ٢١
(٧) آل عمران : ١٥٩ (٨) الأحزاب : ٦

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) ، ﴿ وَاعْلَمُواْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ ، لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ﴾ (٢) .

إن وجود الوارث الربَّانى المرشد هو نقطة البداية الصحيحة فى إقامة العمل الإسلامى الراشد ، وهذا يقتضى علماً وذكراً ومعرفة بالأهداف والمشكلات وخارطة العمل واستيعابها للنظريات التنظيمية ، فإذا وُجد ذلك فقد وُجد الولى المرشد ووُجد بوجوده عمل إسلامى رشيد وإلا فإن الثمرات معرَّضة للسقوط قبل أوانها ، فالتطاحن الإدارى والتنافس بين العاملين وتغير القلوب وظهور الأمراض كل ذلك يمكن أن يكون .

ولكن مَن الذى يعطى صفة الأستاذية لأهلها ؟

فالحديث الشريف : « لا يقص على الناس إلا أمير أو مأمور أو متكلف » .

إنى أرى أن يفصل العمل التعليمى التربوى ما أمكن عن الحساسيات السياسية ، وسواء أكان هذا التعليم شرعياً أو تخصصياً حياتياً ، فإننى أرى له ذلك ، ليمكن إيصال العلوم الإسلامية إلى أكبر دائرة فى الأمة الإسلامية وإلى أن تعم التخصصات المفيدة .

المهم فى هذه الحالة ألا يكون القائمون على العمل التعليمى التربوى والتخصصى معادين لمنهج الله أو معارضين لإقامته ، فإذا كان القائمون على العمل التعليمى مستقيمين على أمر الله فمهما أبعدوا العمل التعليمى عن المماحكات السياسية فذلك أجدى له .

إننى لا أستطيع أن أتصور أن بالإمكان تعميم العلوم الإسلامية وتعارف المختصين فيما بينهم إلا فى مثل هذه الأجواء ، ولا ينبغى أن تكون هناك حساسيات من أى جهة عاملة للإسلام ومن أى ترتيب تعليمى مستقيم ومن أى تعارف بين المختصين .

---

(١) التوبة : ١٢٨ (٢) الحجرات : ٧

وذلك فى فهمى هو منهاج الأستاذ البنا رحمه الله ، فالأستاذ البنا يقول فى مذكراته :

« ... ولكن الحق أننى لم أكن متحمساً لنشر الدعوة على أنها طريق خاص لأسباب أهمها : أننى لا أريد الدخول فى خصومة مع أبناء الطرق الأخرى ، وأننى لا أريد أن تكون محصورة فى نفر من المسلمين ، ولا فى ناحية من نواحى الإصلاح الإسلامى ، ولكنى حاولت جاهداً أن تكون دعوة عامة قوامها العلم والتربية والجهاد ، وهى أركان الدعوة الإسلامية الجامعة ، ومَن أراد بعد ذلك تربية خاصة فهو وما يختار لنفسه » [(1)] .

وجاء فى قرارات المؤتمر الثالث للإخوان المسلمين :

« سادساً : موقف الإخوان المسلمين من غيرهم :

١- على الأخ المسلم أن يتعرَّف غايته تماماً وأن يجعلها المقياس الوحيد فيما بينه وبين الهيئات الأخرى .

٢ - كل منهاج لا يؤيد الإسلام ولا يركز على أصوله العامة لا يؤدى إلى نجاح .

٣ - كل هيئة تحقق بعملها ناحية من نواحى منهاج الإخوان المسلمين يؤيدها الأخ المسلم من هذه الناحية .

٤ - يجب على الإخوان المسلمين إذا أيَّدوا هيئة ما من الهيئات أن يستوثقوا أنها لا تتنكر لغايتهم فى وقت من الأوقات .

٥- الهيئات النافعة توجَّه إلى الغاية بتقويتها لا بإضعافها .

٦ - يرحب الإخوان بكل فكرة ترمى إلى توحيد جهود المسلمين فى سائر بقاع الأرض ، وتأييد فكرة الجامعة الإسلامية كأثر من آثار اليقظة الشرقية .

٧ - الإخوان المسلمون يخلصون لكل الهيئات الإسلامية ويحاولون التقريب بينها بكل الوسائط ، ويعتقدون أن الحب بين المسلمين هو أصلح أساس

---

(١) مذكرات الدعوة والداعية ص ٦٧ - الطبعة الخامسة - ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣م) .

لإيقاظهم ، وهم يناوئون كل هيئة تشوه معنى الإسلام مثل البهائية والقاديانية » [1] .

ومن ههنا فإننى طرحت من أجل تعميم التعليم ومن أجل تعارف المختصين فى الأمة الإسلامية رسالتين : رسالة « إحياء الربَّانية » أشرح فيها وجهة نظرى كيف ينبغى أن يتم ترتيب مستقل لتعميم العلوم الإسلامية ، وعن مَن نضجوا فى هذه العلوم تنبثق جمعية لعلماء الإسلام ودعاته مهمتها إدارة تعميم الثقافة الإسلامية وإيجاد التعارف بين المختصين على مستوى الأُمة الإسلامية ، وفصَّلت ذلك فى رسالة « عقد القرن الخامس عشر الهجرى » .

إن أى إصلاح جذرى لهذا العالَم بدايته تعليم ومنهج ، ولذلك فإننى أعتبر وجود عمل يستهدف الوصول إلى تعليم شامل على ضوء منهج صحيح هو السبيل لإيجاد التغيير الجذرى فى الأُمة الإسلامية ، وما دام هذا لا يتم إلا بأن يبتعد هذا العمل عن المماحكات السياسية فعلينا أن نوجد له إطاره وقواعده، ومن قواعده أنه لا حظر على كل منتسب لمدارس إحياء الربانية أن يكون منتسباً إلى عمل إسلامى آخر فيما لا إثم فيه ، وكل إنسان يتحمل مسئولية عمله دون أن يُحمِّل مدارس إحياء الربَّانية مسئولية أعماله .

ولئن كان بعض الناس يخشون من حياة المسلمين فى الغرب للدراسة أو للإقامة ، فإننى أعتبر أن لذلك إيجابياته خاصة وفقهاء الشافعية نصُّوا على أنه يُندب للمسلم أن يقيم فى ديار الكفر إذا كان قادراً على إقامة شعائر الإسلام .

إن الحرية الدينية وغيرها التى تتاح للإنسان فى بلاد الغرب إذا أُحسن استثمارها فإنها أجود مناخ فى العالم لإيجاد التخطيط الإسلامى المطلوب على كل مستوى ، ومنه التخطيط التعليمى .

* * *

---

(١) مذكرات الدعوة والداعية ص ١٨٩

الفصل الرابع

فى التخطيط الدعوى

قال تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ، وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « بَلِّغوا عنى ولو آية » .

فالتخطيط للدعوة إلى الله وتنظيم ذلك والتنفيذ الراقى أشياء لا بد منها ، ولا بد أن توجد جهة مركزية مؤهَّلة ، تعمل للقيام بحق الله فى ذلك ، وهناك شىء كثير موجود يخدم فى هذا السبيل ، وبعضه يحتاج إلى تطوير ، وهناك الكثير المفقود الذى يتحقق آناً بعد آن .

إن خُطَب الجمعة مثلاً من أعظم مظاهر الدعوة إلى الله ولكن كثيراً من الخطباء يهملون التحضير الجيد للخطبة ، ويهملون تكامل خطبهم بحيث يُعرِّفون سامعيهم على كل ما يلزمهم .

وهناك فكرة يغذيها الشيطان وهى أن بعض الناس يزعم أنه لم تعد صلاة الجمعة مفروضة بسبب عدم وجود خليفة ، ويزعمون أن ذلك مقتضى الفتوى فى مذهب الحنفية ، وذلك هو الكذب عينه ، فقد نص الحنفية أنه حتى فى حالة سيطرة الكفار يتواضع المسلمون على قاض يحكم بينهم ، فكيف فى حال فقدان الخليفة ألا يسع المسلمون أن يتواضعوا على الجهة التى يستأذنونها لإقامة الجمعة ؟

---

(١) آل عمران : ١٠٤

إن محاولة إتقان خُطْبة الجمعة وحُسن اختيار الموضوعات وتعميم الخُطَب النافعة ، بل ترجمة كثير من مجموعات الخطب النافعة إلى لغات العالَم ووضعها بيد الخطباء من أعظم ما يجب التخطيط له فى باب الدعوة إلى الله .

وتنظيم الحلقات العلمية وحلقات الذكر المأثور فى المساجد ، والعمل على تخريج الدعاة من خلال المؤسسات أو من خلال الشيوخ من أعظم ما ينبغى أن يدخل فى دائرة التخطيط .

وهناك جماعتان قامتا بدور كبير فى الدعوة إلى الله : جماعة الدعوة والتبليغ ، وجماع الإخوان المسْلمين ، وكل منهما نجحت أكثر من الأخرى فى بعض المجالات ، ونحن ندعو كل مسلم أن يخرج للدعوة إلى الله مع جماعة الدعوة والتبليغ فلذلك آثاره المباركة .

ونحن ندعو كل داعية أن يُقيِّد نفسه بأصول الفهم العشرين الذى ذكرها الأستاذ البنا فى رسالة التعاليم . والمراكز الإسلامية والجامعات ودور الجامعات الإسلامية لا يصح أن تخلو من المحاضرات والندوات وتوجيه الدعوات ، وهناك حالات يختلط فيها التخطيط الدعوى بالتعليمى بالإعلامى . فالأجود أن يكون هناك تنسيق بين هذه الجهات ، ولا بد من الاستفادة من وسائل الإعلام الحديثة فى الدعوى إلى الله كالجريدة والمجلة ودور النشر والإذاعة والتليفزيون .

فرجل الدعو ينبغى أن يتحرك ويُحرِّك بحركته كل شىء .

ومما ينبغى أن يلاحظه المخططون للدعوة أن يرصدوا كل أنواع الدعوة المقابلة ، وأن يخططوا لكيفية مقابلتهم .

فالرصد المستمر للدعوات الباطلة ووضع المخططات لإنهائها على مستوى الفرد المسلم أو الأُمَّة أو العالَم شىء ضرورى .

وكما ينبغى أن نخطط لحرب النظريات الكافرة التى تأتى من خارج الأُمَّة

الإسلامية ، علينا أن نخطط لمحاربة الدعوات الكافرة أو الضالة التى تفرزها الفهوم الجانحة من الأُمَّة الإسلامية .

إن التخطيط الدعوى يجب أن يستنفر كل الطاقات الحكومية والشعبية للوصول إلى جماعة تقوم بأمر الدعوة إلى الله فى كل مجموعة بَشرية مهما قلَّت .

ويدخل فى دائرة التخطيط الدعوى التخطيط لنشر الكتاب الإسلامى الموثَّق ، والدخول بالدعوة إلى كل ميدان وإلى كل مؤسسة وإلى كل نقابة وإلى كل اختصاص وإلى كل طائفة وإلى المسلمين وغير المسلمين وإلى العرب وغير العرب ، ويدخل فى هذا : التخطيط لإيجاد مجالس الدعوة ودور النشر ودور الترجمة والمؤسسات الصحفية لإصدار المجلات والصحف والوصول إلى الإذاعة والتليفزيون والاستفادة من الڤيديو .

* * *

الفصل الخامس

فى التخطيط الإعلامى

لا ينفصل الإعلام عن التعليم والدعوة والموقف السياسى ، ولكن جرى العُرْف أن يُخَص بالكلام ، وفى عصرنا الحاضر الإعلام هو عنوان الحركة ، فإذا كان هناك إعلام فهناك حركة ، وإلا فلا حركة .

وأجهزة الإعلام فى عصرنا تُفتَن فى كثير من الأحيان عن الإخلاص ، وقد تجر إلى أغلاط ، وقد تدخل الإنسان أو الحزب أو الدولة فى دائرة امتحان ، ويحاول بعض الناس أن يوجد ما يسمى بالإعلام الإسلامى ، ونحن نرى أن الفارق بين أى إعلام وآخر هو الأيديولوچية التى تكمن وراء الإعلام ، فكلما انسجم الإعلام مع الأيديولوچية كان متميزاً بسبب ذلك .

والإعلام الآن صحيفة ومجلة وإذاعة وتليفزيون ووكالات أنباء ، وما من دولة من دول العالَم الإسلامى إلا ولها صحافتها وإذاعتها وتليفزيونها ، وأول ما ينبغى أن يفكر فيه المخططون الإسلاميون : كيف نجعل هذه الأجهزة تُسخَّر فى خدمة الأيديولوچية الإسلامية ، وكيف يكون كل ما ينبثق عن هذه الأجهزة منسجماً مع الأيديولوچية الإسلامية .

ومما ينسجم مع هذا أن يكون لهذه الأجهزة موقف موحَّد فى المواقف الرئيسية لشعوب الأُمة الإسلامية من أعدائها .

ومما ينبغى أن يسهر عليه المخططون أن يرصدوا أجهزة الإعلام العالمية ، فكل ما يؤثر على الإسلام والأُمة الإسلامية عليهم أن يوجهوا أجهزة الإعلام الإسلامية بما يحصن من ذلك .

ومن المناسب أن يعرف الإعلاميون الإسلاميون ما يذيعونه فى الأوقات نفسها التى يُذاع فيها ما يخالف الأيديولوچية الإسلامية .

وقد أصبح ممكناً فى كثير من بلدان العالم أن يكون للإسلام محل فى أجهزة الإعلام فيها .

والولوج إلى أجهزة الإعلام العالمية والمحلية من قِبَل المؤمنين بالإسلام أصل لا ينبغى التفريط فيه إلا لمانع شرعى .

هكذا كله شىء ، والتخطيط لتطوير الإعلام الذى أوجدته الأيدى الإسلامية شىء آخر .

ففى العالَم اليوم صحف ومجلات وبرامج إذاعية وتليفزيونية كانت أثراً عن جهد إسلامى ينبغى دعمها واستمرارها وتطويرها وتجنيبها ما يؤذيها .

ولعله من المناسب أن توجد جهة مركزية ساهرة على الإعلام ذى الهوية الإسلامية .

ولعله من المناسب أن يكون هناك اتصال بين الإعلاميين الإسلاميين بحيث يكون لهم موقف موحَّد من قضايا الإسلام الجوهرية ، ومن قضايا الأُمة الإسلامية المصيرية .

ولئن كان فى الماضى يحول العجز عن كثير من الأُمور فإن المرحلة الحاضرة وقد أوضحت بدائل سهلة كالڤيديو الذى عوَّض إلى حد كبير عن السينما ، ووسائل الاتصال الحديثة سهَّلت سرعة نقل الأخبار ، فسهَّلت اتحاد المواقف .

إنه لن يصعب على المخططين الإسلاميين أن يوجدوا جهة مركزية ومقراً يوجهون من خلاله حركة الأُمة الإسلامية الإعلامية .

* * *

الفصل السادس

فى التخطيط السياسى

ورث العالَم الإسلامى أوضاعاً صعبة تاريخية وجغرافية ، كما ورث ضعفاً وتخلفاً ، وورث اختلالاً كبيراً فى موازين القُوَى السياسية وغيرها بالنسبة للعالَم ، ومما ورثه اختلاف أنظمته واختلاف المؤثرات فى أقطاره وعلى أقطاره، فلكل قطر أوضاعه الخاصة ومشكلاته الخاصة ، والمخططون للعالم الإسلامى سياسياً عليهم أن يتعاملوا مع الواقع ويطوِّروه ، وأن تكون عندهم بصيرة يدركون فيها كل إيجابية مهما كانت صغيرة تخدم الأُمة الإسلامية وتخدم الإسلام ليتمسكوا بها ويدفعوا بها نحو الأمام .

فالأصل مثلاً أنَّ تصرف الحاكم المسلم منوط بالمصلحة ، فإذا وُجِد حُكَّام مسلمون يحققون مصالح شعوبهم على ضوء الشريعة الإسلامية ، فالمفروض أن يكون هؤلاء الحكام أصدقاءنا وأن نوالى نصحهم وأن نخلص لهم .

والأصل عندنا فى أى نظام حكم : حراسة الدين وإصلاح الدنيا على ضوئه ، فإذا وُجِد نظام حكم كذلك فعلينا أن ندعمه ونقويه .

والأصل عندنا اختيار أهون الشرين وأخف الضررين وقد يكون هناك حكم لا يمثل طموحاتنا ، لكنه على ضوء عالَم الأسباب فإنه لو زال فإنه يأتى ما هو شر منه ، فعلينا فى هذه الحالة أن نحافظ عليه مع محاولة تطويره .

هناك تجمعات سياسية أو محاولات للتقريب بين بعض الأقطار علينا أن نفطن لإيجابياتها : فهناك محاولة تقارب بين سكان وادى النيل ، وهناك محاولة التقارب بين أقطار المغرب العربى ، وهناك ظاهرة مجلس التعاون

الخليجى ، وهناك الجامعة العربية ، وهناك منظمة المؤتمر الإسلامى ، وهناك منظمات شعبية وعالمية تؤثر سياسياً بشكل غير مباشر .

هذا كله ينبغى أن يطوِّره القادرون ، وهناك مشكلات حادة تواجه بعض الأقطار الإسلامية يجب أن تتعاون الحكومات والشعوب والعاملون للإسلام على حلِّها ، فهناك مشكلة فلسطين ومشكلة كشمير ومشكلة الحرب العراقية الإيرانية ومشكلة جنوب السودان ومشكلة أريتريا والصومال مع الحبشة ومشكلة تشاد مع ليبيا ومشكلة الأقليات المسلمة فى الفلبين وتايلند وأمثال ذلك ، وهناك مشكلة المسلمين فى الاتحاد السوفييتى والصين ، وهناك الإيجابيات التى تترتب على وجود الحريات الدينية فى الغرب وضرورة الاستفادة منها .

وهذا كله يوصلنا إلى أنه ينبغى أن يكون للعاملين للإسلام خطتهم الخاصة فى كل قطر سواء فى العالم الإسلامى أو فى العالَم كله ، ولا بد أن يكون جزء من التخطيط كيفية الوصول إلى تطبيق الشريعة الإسلامية وأسلمة كل شىء فى كل قطر من الأقطار الإسلامية ، وإلى الوصول إلى صيغة ما توجد بها جهة مركزية للأُمة الإسلامية ، تُسلِّم الأُمة بحكمتها وبسلامة تخطيطها وبقدرتها على تحقيق مصالح الأُمة الإسلامية ، وسيواجه المخططون السياسيون عقبات كثيرة تحتاج إلى حل وإلى قوة مبادرة ، والرجل المؤهَّل للتنفيذ العالى لا يصعب عليه أن يجد حلاً للمشكلة التى تواجهه .

إننا لا نستطيع أن نحدد خطة عمل لكل قطر وفى كل قطر فى كتاب كهذا الكتاب ، ولكننا ننبه على خطورة بعض الأمور :

أولاً : إن بعض الحُكَّام يتوهمون أن تطبيق الإسلام يؤلِّب عليهم الدنيا ، ونحن ضد التهور وضد الجعجعة ، ولكن نذكر فى الوقت نفسه أنه بذلك يدخل هؤلاء الحُكَّام المتوهمون فى قوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ﴾ (١)

(١) القصص : ٥٧

ثانياً : إن بعض الحاكمين يتقرَّبون إلى شياطين الإنس والجن باضطهاد المسلمين ويتصوَّرون أن هذا يعطيهم دعماً وقوة ، وهو وهم لا يخطر ببال مسلم ، قال تعالى : ﴿ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً ﴾ (١) وهؤلاء مآلهم إلى خسارة الدنيا والآخرة .

ثالثاً : إن الكافرين قد يُحرِّشون بين المسلمين ليقتتلوا ، ونحن نطالب كل الأطراف بالتعقل ، فقرار الحرب ليس سهلاً ، وتبعاته فى عصرنا كثيرة ، ونوصى المخططين الإسلاميين أن تكون لديهم أثناء الحركة السياسية وضوح الفكرة وكثرة البدائل وقوة الحُجَّة الشرعية والمصلحية .

رابعاً : إن التخطيط السياسى المطلوب يختلف من قطر إلى قطر ، وعلى هذا ينبغى أن يبلور المخططون سياسة ثابتة لكل قطر على ضوء خطة عالمية شاملة .

ومع أن هذا يحتاج إلى جهة مركزية تخطط من خلال التشاور والتناصح إلا أنه كشىء مرحلى يجب أن يُنضِج كل قطر خطته السياسية ، فقد تكون خطة الإسلاميين فى قطر : مناصحة أولياء الأمور مناصحة سرية ، وقد تكون خطتهم : العمل السياسى المباح قانوناً .

خامساً : يبدو أن المخططين العالميين ضد الإسلام قد يئسوا من مواجهة الإسلام فكراً بفكر ، فمقولات الإسلام لا تُقاوم خاصة بعد ما ظهر من معجزات علمية فى الكتاب والسُّنَّة ، وإن الكُتَّاب الإسلاميين المحدَثين كانت عباراتهم فى منتهى القوة ، ومع أن التخطيط الفكرى المزخرف المتلاعب لا زال له محله ، فالضغوط السياسية التى بيدها سلاح المال والقوة ، واللعب على تناقضات الأُمة الإسلامية هى التى سيلجأ إليها المخططون العالميون ضد الإسلام ، وهذا يقتضى وعياً سياسياً خاصاً وحركة سياسية واعية على ضوء خطة عالمية شاملة .

---

(١) البقرة : ١٦٥

سادساً : لا بد فى مخاطبة العالَم من اعتماد المبدأ الذى اعتمده الأستاذ البنا وهو مصالح بمصالح ، واستكشاف تناقض المصالح بين الدول الكبرى ، والاستفادة من ذلك ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيراً ﴾ (٢) .

وإن ظهور رجال دولة يدركون هذا مهم فى الاستفادة من ذلك .

سابعاً : إنه فى كثير من بلدان العالَم الإسلامى توجد ظروف ديمقراطية ، ومع وجود مثل هذه الظروف فإن الإسلاميين لا يستفيدون منها ، مع أن الديمقراطية فى العالَم الإسلامى هى المناخ الأنسب لانتصار الإسلام فى المستقبل .

إن الإسلاميين حاربوا الديمقراطية فى العالَم الإسلامى لأن الديمقراطية فى المفهوم الغربى لها حق التحليل والتحريم ، ومعلوم بالضرورة أنه فى الإسلام لا اجتهاد فى مورد النص ، إلا أن المسألة هنا أنه فى مرحلة الصراع بين الإسلام وغيره فى الأرض الإسلامية ينبغى أن نعرف أى الأنظمة أجود لحسم المعركة لصالح الإسلام ؟

لا شك أن الديمقراطية هى المناخ الأنسب فى العالم الإسلامى لحسم المعركة لصالح الإسلام ، ومع ذلك فقد وُجِد أُناس فى العالم الإسلامى يحاربون الديمقراطية ، فكان البديل هو الديكتاتوريات العسكرية ، والديكتاتوريات الحزبية التى احتفظت بكل مساوىء الديمقراطية الغربية ضد الإسلام والإسلاميين ولم تعط الإسلام والإسلاميين حرية مرور .

إن الديمقراطية حيث وُجِدت فى العالم الإسلامى تعنى فى المآل انتصار الإسلام والإسلاميين بأقرب طريق وأخصره .

---

(١) البقرة : ٢٥١ (٢) الحج : ٤٠

لقد كان الأستاذ البنا حكيماً عندما أراد المشاركة فى الحياة النيابية ، وكان الأستاذ الهضيبى حكيماً عندما دعا إلى إحياء الحياة النيابية فى مصر .

إن المشاركة فى الانتخابات للاستفادة من الحياة الديمقراطية أصبح قاسماً مشتركاً بين الحركات الإسلامية الأصيلة ، ولذلك فلا بد من أن نكون جرآء صرحاء بأننا لا نخشى الديمقراطية فى العالَم الإسلامى بل نخاف عليها .

إن تجربة الأُمة الإسلامية فى القرن الرابع عشر تدل على أن الديمقراطية الصحيحة تعنى انتصار الإسلام ، وأن المخططين المعادين للإسلام أدركوا ذلك فحالوا بين الديمقراطية وبين العالم الإسلامى ، وساعدهم على ذلك أن الإسلاميين كانوا ينظرون إلى الديمقراطية بمعناها لا بمآلها فحاربوها ، وهم بذلك يقتلون أنفسهم ، فحكمتهم بسبب ذلك أسوأ الأنظمة التى فرضت عليهم ما خافوه من الديمقراطية ومنعتهم من الحرية التى تعطيهم إياها الديمقراطية ، وهكذا شهد القرن الرابع عشر ظلم الدكتاتوريات العسكرية وعسفها .

إن الديمقراطية تعنى إرادة الأكثرية ، وتعنى الحرية للجميع ، ولا شك أنه عندما يُعطَى الإسلاميون حرية فإنهم يستطيعون أن يصلوا بالإسلام إلى أكبر قطاع من الناس ، ويستطيعون أن يعبئوا الأكثرية لصالح الإسلام ، وتتخرج بذلك أجيال قادرة على الإدارة والعمل السياسى ، فكيف يخاف الإسلاميون الديمقراطية ؟ فالخوف منها يؤدى إلى سلب الحرية وإلى حكم الأقلية ، ولذلك فإن المفروض أن يخافوا على الديمقراطية ، ولقد أثبتت التجربة البَشرية أنه لا بديل عن الديمقراطية إلا الثورات وإلا تآمر الأقلية وإلا استعمال السلاح ، وكل ذلك أخطر بكثير من أن تُعطَى حرية الانتخاب للجميع لتقدم الأكثرية مَن تراه قادراً أو صالحاً ، وإذا عجزت الأكثرية فى مرحلة أن تُقدِّم الأصلح والأقدر فالطريق مفتوح أمام الإسلام والمسلمين ، ولكن بدون ديمقراطية يُغلق الطريق ويُتاح للمخططات أن تعمل عملها .

لقد ثبت بالتجربة أن الديمقراطية هى أهون الشرين وأخف الضررين فى الأمة الإسلامية قبل الحكم الإسلامى ، وأنه لا بديل عنها إلا السلاح والثورات والديكتاتوريات الحزبية أو العسكرية ، ولكن هناك جانباً فى الديمقراطية هو الخطر وهو محسوم لصالح الإسلام فى العالم الإسلامى وهو أن الكتاب والسُّنَّة حاكمان ، والديمقراطية تعنى إرادة الأكثرية فى كل شىء ، ونحن نرى أن الديمقراطية ستوصل الأكثرية الإسلامية للحكم حالاً أو مآلاً ، فإن وصلت الأكثرية الإسلامية للحكم فإنها عبر الديمقراطية ستصل إلى أن تقرر الأكثرية التزامها بالكتاب والسُّنَّة ، وعندئذ تصبح الديمقراطية فى العالَم الإسلامى دستورها الكتاب والسُّنَّة ، فهى تشبه الديمقراطيات المقيدة بالدستور . وبهذه المناسبة نسجل ما يلى :

إنه من العجيب أنه فى المنطق الديمقراطى يكون للإنسان حرية شخصية فضفاضة ، ولكن الديمقراطيين أنفسهم فى العالم الإسلامى لا يفهمون الحرية الشخصية إلا فى حدود الفساد والإفساد ، فالراهبات - مثلاً - لو جئنا إلى العالم الإسلامى لما تعرَّض أحد من الناس إلى لباسهن ، ولكن أُناساً يدَّعون الديمقراطية فى العالم الإسلامى يحظرون على المرأة المسلمة أن تلبس نفس اللباس الذى تلبسه الراهبة فى بعض المؤسسات .

ثامناً : إننا مضطرون فى بعض الأقطار للمواجهة السياسية وغيرها أمام الاعتداء علينا وأمام ما نجده من رغبة فى استئصال الاسلام ، وفى هذه الحالة قد يضطر الإسلاميون إلى الخروج على القانون فى قطرهم ، ولكنه فيما عدا هذه الأقطار - وهى أقطار محدودة - فإننا ندعو الإسلاميين فى كل مكان فى العالَم إلى أن تبقى حركتهم ضمن القانون وأن يطوِّروا وجودهم وحركتهم عبر القانون ، ويجب أن يعرف العالَم أن خطتنا السياسية لتحقيق أهدافنا لا تقوم على أساس ثورة فى كل قطر ، بل نحن نعتمد فى حركتنا السياسية على نظرية تقول : إننا سنصل إلى كل أهدافنا المحلية والعالمية عبر القانون إذا أُعطينا حرية عمل .

تاسعاً : إن كثيراً من الأقطار الإسلامية مآلها أن تكون فيها حكومات راشدة ، وكثير من الأقطار لا ترضى أن يسبقها غيرها فى تطبيق الإسلام ، وهكذا فإننا نأمل أن يأتى يوم يُطبَّق فيه الإسلام على مستوى العالَم الإسلامى كله ، وأن يحس العالَم كله أن ذلك بركة عليه .

عاشراً : لا بد أن تطمئن أقطار النصيحة على أن موقفنا فيها موقف استراتيجى وليس تكتيكياً ، وأن تحركنا فيها منضبط بالحكم الشرعى أولاً وبالقانون ثانياً ، فالحكم الشرعى يفرض علينا أن ننصر إخواننا إلا على قوم بيننا وبينهم ميثاق ، والحكم الشرعى يوجب علينا النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم ، وقد ألزمنا أنفسنا فى أقطار النصيحة بالنصيحة ، وفى أقطار أخرى بالنصرة ، وليس لأحد أن يمنعنا من ذلك .

حادى عشر : إن وجود رجل الدولة المحاور القوى القادر على انتزاع مخاوف الآخرين مهم فى خطتنا العالمية .

ثانى عشر : ويجب مع ما مر أن يكون للتيار الإسلامى تحالفاته مع عدد من الأقطار الإسلامية لتتاح له حرية العمل ومرونة الحركة والخط الاحتياطى والجهة التى تدافع أو تحمى .

ثالث عشر : إن على الإسلاميين فى العالَم أن يحترموا خطة إخوانهم فى أقطارهم ، وأن يمدوا لهم يد المساعدة لإنجاح مخططاتهم .

* * *

الفصل السابع

فى التخطيط الأمنى

إن التخطيط الأمنى يجب أن يشمل التخطيط لأمن العالَم كله ، لأنه لا ينفصل أمن العالم عن أمن الأُمة الإسلامية ، كما ينبغى أن يشمل أمن الأُمة الإسلامية وأمن أفرادها وأمن أقطارها وأمن الحركات الإسلامية والعاملين للإسلام .

والأمن فى المفهوم الإسلامى أعم من الأمن فى المفهوم المحدودة المعاصر ، فأمن الإنسان منوط بألا يرتكب الإنسان ما يُسخط الله ويستحق عقوبته ، قال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسكُمْ شِيعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ (١)

ومن موجبات انعدام الأمن : البطر والظلم ، قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِى بَارَكْنَا فِيهَا قُرىً ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ ، سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ * فَقَالُواْ رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾ (٢) .

ومن سنن الله أن الله يعطى أمنه لمن اجتمع له إيمان وعمل صالح ، قال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً ﴾ (٣) .

---

(١) الأنعام : ٦٥ (٢) سبأ : ١٨ - ١٩ (٣) النور : ٥٥

والمعاصى بشكل عام سبب للمصائب ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ (١) .

فأول ما ينبغى أن يفطن له المخططون الأمنيون لأمن الأفراد والجماعات والأمم هو حمل الناس على الاستقامة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُواْ تَتَنَزَّلَ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ ﴾ (٢) ، ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ (٣) .

وبعد هذا الأصل العام فلا بد من التفكير الأمنى بالمفهوم القرآنى وبمفهوم عالم الأسباب على ضوء ما تجيزه الشريعة ، فهناك حالات لا يتحقق فيها الأمن للمسلمين إلا عبر القتال ، قال تعالى : ﴿ فَقَاتِلْ فِى سَبِيلِ اللهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ، وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ ، عَسَى اللهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ ، وَاللهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً ﴾ (٤) .

وأحياناً لا يتحقق الأمن إلا بوجود الإعداء ووجود الاستعداد ، قال تعالى : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (٥) ، وقال تعالى : ﴿ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ﴾ (٦) .

وأحياناً لا يتحقق أمن الأمة الإسلامية إلا بوجود التضاد بين الكافرين ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيراً ﴾ (٧) .

---

(١) الشورى : ٣٠ (٢) فصلت : ٣٠ (٣) يونس : ٦٢ - ٦٣
(٤) النساء : ٨٤ (٥) الأنفال : ٦٠ (٦) النساء : ١٠٢
(٧) الحج : ٤٠

وأحياناً يكون الأمن عبر التحالفات قال تعالى : ﴿ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ﴾ [(١)] ، وقد دخل رسول الله ﷺ مكة بعد عودته من الطائف بحماية المطعم بن عدى .

وأحياناً يكون الأمن باستكشاف خطط العدو ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ ، وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [(٢)] .

وأحياناً يكون الأمن بمعرفة الحرب النفسية والخروج من وهمها وأسرها بالتوكل على الله ، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [(٣)] .

ومع هذا الذى ذكرناه فإن المخططين لأمن الأُمة الإسلامية وأفرادها وشعوبها وأقطارها والحركات الإسلامية فيها عليهم أن يتقنوا النظريات الأمنية على ضوء عالَم الأسباب ولكن بما لا يخالف شريعتنا .

وسيرون نتيجة التأمل أن هناك عشرات من الأسئلة تحتاج إلى إجابة وتحتاج إلى عمل أمنى ، فمن الملاحظ - مثلاً - أن قضية السودان تتلاحم فيها العَلمانية والشيوعية والتبشير والكنيسة ، مع كثرة التناقضات بين هؤلاء ، فمن العَلمانيين قوميون عرب يجرون مواقفهم ضد عروبة السودان ، ولو أن السودان - لا سمح الله - سقط لصالح ما يريده الجنوب لكان لذلك أثره على إفريقيا عامة وعلى مصر خاصة وعلى البحر الأحمر وعلى الجدار الآخر للبحر الأحمر ، وإذن فأمن السودان يرتبط بأشياء كثيرة وترتبط به أشياء كثيرة، ومن ههنا فإن النظرية الأمنية فى السودان منوط بتلاحم الأحزاب الرئيسية الثلاثة الكبرى كما أنه منوط بأشياء كبيرة .

---

(١) الأنفال : ٧٢ (٢) النساء : ٨٣ (٣) آل عمران : ١٧٣

وهكذا نجد أن العثور على النظرية الأمنية لقطر يحتاج إلى الإجابة على عشرات الأسئلة ويحتاج إلى حركة مكافئة ، وهكذا فإن البحث عن النظريات الأمنية والعمل على تطويرها وتحقيقها يحتاج إلى جهد مضن :

تُرى ما هو القدر المشترك الذى يُتفَق عليه بين بعض الجهات ضد باكستان ؟

تُرى ما هو القدر المشترك الذى يُتفَق عليه بين بعض الجهات ضد الثورة الأفغانية الإسلامية ؟

تُرى كيف تخرج كثيراً من أقطار الأُمة الإسلامية من مآزقها ؟

تُرى ما هى النظرية الأمنية لكل قطر من أقطار الأُمة الإسلامية ؟

تُرى ما هى النظرية الأمنية للمسلمبن المقيمين فى ديار الغرب ؟

تُرى ما هى النظرية الأمنية للمسلمين المقيمين فى الدول الشيوعية ؟

تُرى ما هى النظرية الأمنية لكل تجمع إسلامى فى القطر الذى يوجد فيه ؟

إن حياة المسلم لا تنفصل عن الابتلاء ، قال تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ﴾ (١) ، ولكن هذا لا يعنى ألا نفتش عن العفو والعافية فنحن ندعو الله بهما دائماً ، ولا يعنى هذا ألا نأخذ الحذر ، قال تعالى : ﴿ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ﴾ (٢) .

إنه فى هذا العالَم المهدَّد بالفناء من خلال الأسلحة النووية لا بد أن يكون للمسلمين موقف وتطلع ، فالحرب المقبلة لن تترك أحداً ولذلك فإن فكرة التعايش السلمى وفكرة الحياد الإيجابى قد تكونان ركنين أساسيين من أركان النظرية الأمنية الإسلامية ، وقد يكون الصبر والتحمل من قِبَل الإسلاميين فى كثير من أقطار الأُمة الإسلامية عاملين من عوامل الأمن لهذه الأقطار ، وقد يكون التلاحم بين الإسلاميين وبين كثير من أقطار الأُمة الإسلامية عاملاً من عوامل أمن الإسلاميين وأمن هذه الأقطار .

---

(١) البقرة : ١٥٥ (٢) النساء : ١٠٢

ولا شك أن بُعْد النظر السياسى عامل من عوامل أمن كثير من الأقطار الإسلامية .

تُرى ألم تكن وحدة باكستان الشرقية مع الغربية أفضل من انفصالهما ؟

تُرى ألم يكن عهد أيوب خان الذى قهر الهجوم الهندى أقل سوءاً من العهد الذى جاء بعده ؟

إن المخططين لأمن الأُمة الإسلامية عليهم أن يضعوا فى اعتباراتهم أشياء كثيرة وأن ينظروا وهم يخططون بنور القرآن دون أن يهملوا الأسباب

وكما أن كل نوع من أنواع التخطيط يحتاج إلى جهة مركزية فإن التخطيط الأمنى يحتاج إلى هذه الجهة المركزية والأمل بالله كبير .

فأمن الأُمة الإسلامية لا ينفصل بعضه عن بعض ، وأمن أقطار العالَم الإسلامى لا ينفصل بعضه عن بعض ، وكثير من الأحداث تؤثر على أمن أقطار بعيدة عن مقرها .

ومن ههنا فإن المخططين لأمن أقطار الأُمة الإسلامية عليهم ألا يغفلوا التفاعلات التى تجرى فى كل قطر ، فإذا ما حدث خلل أمنى يؤثر على أمن القطر نفسه أو على أمن غيره فإنه ينبغى أن يُتلافى .

وقد يظن بعض الناس أن الإسلاميين ضد فكرة الاستخبارات مطلقاً وهذا خطأ ، فالرسول ﷺ كان يبعث العيون والأرصاد لمعرفة أخبار العدو ، إلا أن الإسلاميين لا يرون أن يُتجسس على أحد إلا إذا ظهرت منه ريبة ، والإسلاميون يرغبون أن يعطوا حرية دعوية وحرية سياسية ليعملوا ضمن دائرة القانون وهم على استعداد لأن يتحملوا مسئولية أى خرق للقانون .

ومن أجزاء النظرية الأمنية الإسلامية ما ورد فى الحديث الشريف الذى اخرجه البيهقى والحاكم عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال : « كيف أنتم إذا وقعت فيكم خمس وأعوذ بالله أن تكون فيكم أو تدركوهن :

ما ظهرت الفاحشة فى قوم يُعمل بها فيهم علانية إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم .

وما منع قوم الزكاة إلا مُنِعوا القَطْر من السماء ولولا البهائم لم يُمطَروا .

وما بخس قوم المكيال والميزان إلا أُخِذوا بالسنين وشدة المؤونة وجَوْر السلطان .

ولا حكم أمراؤهم بغير ما أنزل الله إلا سُلِّط عليهم عدوهم فاستنفدوا بعض ما فى أيديهم .

وما عطَّلوا كتاب الله وسُنَّة نبيه إلا جعل الله بأسهم بينهم » .

ولعل من أهم ما ينبغى أن يفكر فيه المخططون الأمنيون الإسلاميون هو كيفية مجابهة الحرب الخفية لهم ولإسلامهم ، وأن تكون قراراتهم فى مواجهة هذه الحرب الخفية على غاية من الحكمة والدهاء .

إنه لا بد للقائمين على التخطيط الأمنى أن يكونوا أكثر الناس إدراكاً لأمن كل قطر من أقطار الأُمة الإسلامية ، ولا بد للقائمين على هذا الأمر أن يتعاونوا ليحموا الأُمة الإسلامية وأقطارها وأبناءها والعاملين للإسلام فيها .

ومن أهم ما ينبغى أن يفطن إليه المخططون الأمنيون تلك القاعدة التى تقول : أى خطة لأى شىء يجب أن ترافقه الخطة الأمنية .

* * *

الفصل الثامن

فى التخطيط الجهادى

إن أى شعب إسلامى قد يجد نفسه مضطراً للقتال فى لحظة من اللحظات ، قال تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ﴾ (٢) .

والقتال فى عصرنا يحتاج إلى جيوش نظامية تكون على غاية من استكمال العدد والعُدَّة .

والتدريب والعتاد الجيد والنظام والانضباط من أهم ما تحتاجه الجيوش الحديثة ، وفى عصرنا توجد تقنيات عسكرية وتطورات يومية فى شأن القتال سواء فى ذلك مغداته أو أدواته أو نظرياته ، والمفروض أن كل جيش من جيوش الأُمة الإسلامية يتابع أدق التفصيلات فى ذلك ، ولعل المهمة الرئيسية للملحقين العسكريين المسلمين فى كل بلد هى هذه المهمة فى حدود القانون ، ولا بد فى عصرنا من العقول العسكرية الاستراتيجية والتكتيكية والعملاتية ، وبقدر ما يوجد رجال مسلمون استوعبوا الحرب الحديثة يكون ذلك قوة للإسلام والمسلمين ، وبقدر ما يوجد عتاد يُحسن المسلمون استعماله يكون ذلك قوة للإسلام والمسلمين ، والمفروض من المخططين المسلمين العسكريين أن يتقنوا نقطتين : أن يسعوا إلى تقوية كل جيش إسلامى على حدة ،

---

(١) البقرة : ٢١٧   (٢) الحج : ٣٩

وأن يتغلبوا على العقبات التى تحول دون تساند هذه الجيوش وتعاونها ، وإن مما يساعد على ذلك أن تزول التناقضات بين حكومات العالَم الإسلامى،وكما يجب على مستوى الجيوش أن يوجد رجل القمة المختص فإنه يجب على مستوى حرب العصابات أن يوجد رجل القمة المختص ، قال تعالى : ﴿انفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً ﴾ [1]،وقال تعالى : ﴿ فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُواْ جَمِيعاً ﴾ [2] .

والثبات : جمع ثبة وهى المجموعة ، وهى فى اصطلاح عصرنا : العصابة، والقدرة على حرب العصابات تحتاج إلى ذكاء ودهاء وتلاؤم .

ولا شك أن كل دولة من دول العالم الإسلامى تحتاج إلى أن تكون لها نظريتها العسكرية التى تتلاءم مع الاحتياجات التى تواجهها ، سواء اضطرت لحرب جيوش نظامية أو لحرب على طريقة العصابات .

وقد سرى مفهوم خاطىء أن الجماعات الإسلامية تُعِد العُدَّة للقتال فى كل مكان وهذا ليس صحيحاً .

إن الحركة الإسلامية الحديثة لا تفكر فى القتال إلا فى أماكن محدودة لا يكون أمامها خيار إلا أن تقاتل كحربها العادلة فى أفغانستان مثلاً .

ولا بد أن يُفهم شعار الأستاذ البنا : « والجهاد سبيلنا » على أنه جهاد ضد استعمار أو ضد كفر بواح أو ضد مَن يريد استئصال الإسلام ، وقد ذكرنا فى كتابنا « دروس فى العمل الإسلامى » أن الأنظمة بالنسبة للحركة الإسلامية الحديثة مختلفة ، فهناك نظام لا نفكر أن نتعامل معه إلا فى حدود النصيحة ، وهناك نظام نرغب أن نتعامل معه ضمن حدود القانون ، وهناك أنظمة يُفترض علينا أن نقاتلها ، فهناك حالات يكون القتال فيها على المسلم فرض عَيْن ، على أنه حتى فى هذه الحالات فقد لا نقاتل لموانع قدَّرتها الشريعة ، فقد نص ابن عابدين - من فقهاء الحنفية - فى حاشيته على مسألة هى أنه قد يُفترض

(١) التوبة : ٤١ (٢) النساء : ٧١

القتال فرض عَيْن ولكن لا يأثم مَن لم يباشره لوجود عوامل معينة تحول دون القتال .

إن التخطيط الجهادى يجب أن يستوعب هذه الأُمور كلها ، فهو تخطيط على مستوى الأمة الإسلامية فى صناعاتها العسكرية ، وفى تقوية جيوشها ، وهو تخطيط على مستوى شعوب الأُمة الإسلامية فى معرفة أين يكون الجهاد ومتى يكون الجهاد وكيف يكون الجهاد ، هذا كله فى جانب ، والسعى المتواصل لتشجيع الرياضة والكشفية ووسائل التقوية الجسدية وتعريف كل مسلم عن طريق المدرسة وعن طريق الخدمة الإجبارية بأدوات القتال ووسائله ، شىء مكمل : إن علينا أن نشجع وجود النوادى الرياضية والكشفية وأن نشجع التدريب الرياضى والعسكرى للطُلاب وأن نشجع فكرة وجود الخدمة الإجبارية والاحتياطية ، كما أن علينا أن ندعم الجهاد الشعبى الذى يقوده الكثيرون من أبناء الأُمة الإسلامية لسبب يوجب هذا الجهاد .

هذا . . ولا بد أن نؤكد أن الجهاد هو الوسيلة الأساسية فى الإسلام لإنهاء فتنة المسلم عن دينه ودرء العدوان ولإنهاء الرِّدَّة ، ولكن متى يُفترض القتال وأين يُفترض وما هى أولوياته ؟ ذلك يحتاج إلى موازنات من أهلها وقرار من أهلها ، ما هى أقطار الصراع ؟ وما هى أقطار النصيحة ، وما هى أقطار التحالف الذى يقتضيه الصراع ؟ ذلك يحتاج إلى موازنات وإلى قرار من أهله ، وإذا اتخذ قرار الجهاد فما هى النظرية الفضلى لإقامة الجهاد فى قطر ؟ وما هو التدريب المناسب له ؟ ذلك يحتاج إلى إنضاج .

ما هى الحركة السياسية ولوازم الحركة الجهادية من مال وعتاد ؟ كل ذلك يحتاج إلى تخطيط وتنفيذ وتنظيم يناسب ، وهذا كله شىء وأن يكون كل مسلم فى العالَم مدرَّباً ناوياً الجهاد فى سبيل الله عارفاً بأساليب القتال المعاصرة ذلك شىء آخر ، فهذه من الفرائض العينية التى يجب أن يُخطَّط لها

ويُعمل من أجلها على مستوى العالَم ، وأن يكون للدول الإسلامية جيش معاصر وصناعة عسكرية ، فذلك مما يجب التركيز عليه .

إن الحركة الإسلامية الحديثة طرحت فكرة الجهاد وطرحت فكرة القوة ، وبقيت هاتان الفكرتان غامضتين ، فأدخلتا الرعب على كثير من الجهات ، وجعلت التيار الإسلامى قلقاً فى تفكيره ، ومتمرداً حيث كان ، ولم توضع له خطة مبصرة يتعرف بها على كيفية تأدية فريضة الجهاد ، وكيف يصل بالأمة الإسلامية إلى القوة ، بل أصبحت تصرفاته فى كثير من الأحيان تُضعف القوة الإسلامية ، فلا يُحسن المواءمة بين وجود الأمة الإسلامية وقوتها ، وبين وجود قوته ، وبين تحركاته .

ومن ههنا فإن المخططين الإسلاميين يجب أن يخططوا من خلال نظرة شاملة تستوعب الزمان والمكان ، وأن تكون لهم موازناتهم الكثيرة قبل اتخاذ القرار ، وأن تكون لهم استعداداتهم الكثيرة بعد اتخاذ القرار .

* * *

الفصل التاسع

فى التخطيط الاقتصادى والمالى

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ (١) ، وقال تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ، مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ، وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً ﴾ (٣) .

وإذن فأول ما ينصب عليه التخطيط الاقتصادى هو التذكير بالإيمان والتقوى والاستغفار ، ففى ذلك استجلاب لرزق الله ورحمته ، وقال عليه الصلاة والسلام : « وما منع قوم الزكاة إلا مُنعوا القَطْر من السماء ،ولولا البهائم لم يُمطروا » ، فتنظيم الزكاة من أهم الأمور فى أى تخطيط اقتصادى للأمة الإسلامية ، وقال تعالى : ﴿ يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِى الصَّدَقَاتِ ﴾ (٤) ، وقال : ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴾ (٥) .

فكل تخطيط اقتصادى لا يَراعَى فيه هذه الأصول اقتصاد مآله إلى الدمار .

أما بعد مراعاة هذه الأصول فعلينا أن نأخذ بكل الأسباب التى وصل إليها

---

(١) الأعراف : ٩٦ (٢) المائدة : ٦٦ (٣) نوح : ١٠-١٢

(٤) البقرة : ٢٧٦ (٥) سبأ : ٣٩

العقل البَشرى فى التنمية والتطوير والتوزيع العادل للثروة ، وتنظيم اقتصاد الكفاية ، والاقتصاد الكفائى والاقتصاد العادل والموجَّه لخدمة الأُمة وخدمة قضياها .

وتنظيم الزكوات والصدقات على مستوى الحى والقرية وملاحظة أقوال الفقهاء فى تشغيل العاطلين بها كما عرضناه فى كتابنا « الإسلام » من أهم الأمور ، وإيجاد الشركات الاستثمارية على مبدأ المضاربة والسلم وإنشاء المشروعات المفيدة ، وتسخير أموال الأغنياء فى ذلك مع وجود الاحتياطات القانونية اللازمة ، كل هذا يحل مشكلات الشعوب الفقيرة ، وإيجاد علاقات بين أبناء الشعوب الفقيرة والشعوب الغنية مهم فى وجود هذه الشركات الاستثمارية .

ولا بد أن يتضافر العمل الشعبى والعمل الحكومى على تقوية اقتصاد الأُمة الإسلامية ، فكلما قوى اقتصاد الأُمة ازداد تحرر شعوبها ، ولا بد أن يشمل التخطيط الاقتصادى الصناعات الثقيلة والخفيفة ، والحياة الزراعية وتنمية الحياة الحيوانية ، كما ينبغى أن يشمل كل حاجيات الأمة الإسلامية ويؤمِّن تكاملها وتكافلها ، والملاحظ الآن أن هناك نشاطات اقتصادية على مستوى الأُمة الإسلامية ، ولكنها تحتاج إلى تحرير على قواعد الفتوى ، كما أنه من الملاحظ أن حكومات الأُمة الإسلامية تستغرقها الديون الخارجية والفوائد الربوية ، فلا بد أن ينشأ على هامش منظمة المؤتمر الإسلامى جهة مركزية تخطط لتخليص العالَم الإسلامى من ديونه وتعمل على تكامله وتكافله .

ولا بد لرجال القانون فى كل قطر أن يوجدوا الصيغة القانونية التى تلائم القطر لجمع الزكوات وإحسان صرفها ، وإيجاد الشركات الاستثمارية الإسلامية والمشروعات المفيدة ، وأن يدرس مردودها المصلحى على الأُمة ، حبَّذا لو أقام كل أستاذ مرشد بعض المشروعات المفيدة ، وحبَّذا لو أقامت مؤسسة خيرية عالمية بعض المشروعات المفيدة ، وينبغى أن تكون هذه

المشروعات المفيدة ملكاً للقائمين عليها ، وألا تكون ملكيتها عامة ، وقد يندفع القائمون على هذه المشروعات المفيدة فيحاولون تخصيص قسم كبير من الريع لصناديق الأستاذة .

ومن ههنا فإننا نوصى أن تكون هذه المخصصات بقدر لتبقى ثابتة ، وأن غنَى القائمين على هذه المشاريع يُعتبر مالاً احتياطياً للأُمة فى الأزمات ، فما عُرِف عن المسلمين بخل إذا اقتنعوا بباب خير ، وعلى أعضاء الحركة الإسلامية أن يسهروا على مالية كل فرد منهم أو من إخوانهم فلا إسراف ولا إنفاق فى غير محله ، بل ينبغى أن يكون لكل فرد مدخراته ، وعلى أعضاء الحركة أن تكون لهم صداقاتهم بأصحاب رؤوس الأموال وبالمؤسسات والشركات للترشيد وللحض على دفع الزكوات ووضعها فى مواضعها

ولا بد لأصحاب رؤوس الأموال الإسلامية أن يفتشوا عن الجهة الأفضل التى يدفعون إليها صدقاتهم ، ولا بد أن يفتشوا عن المكان الأنسب الذى يستثمرون يه بعض أموالهم وخاصة فى البلدان الإسلامية الفقيرة . ولا بد من سحب الأرصدة الموجودة فى الخارج وتشغيلها شيئاً فشيئاً فى الأرض الإسلامية ، ولا شك أن دون ذلك عقبات داخلية وخارجية تحتاج إلى تذليل .

ويجب أن تكون من مهمات الداعية إلى الله أن يبذل جهداً للوصول إلى أن يعظ أصحاب الإمكانات المالية بحيث يوجِّه طاقاتهم المالية نحو ما هو أكثر إفادة .

ولا بد فى النهاية أن نلفت نظر أهل الإحسان إلى بعض القضايا ، منها :

أن المحسن ينبغى أن يتخير لصدقته ، ولكن هناك حالات يربط فيها المحسن بين الهداية والإحسان ، والله تعالى يقول فى سياق آيات الإنفاق من سورة البقرة : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِى مَن يَشَاءُ ﴾ (١) ، فهناك

(١) البقرة : ٢٧٢

حالات اضطرارية يتصدَّق فيها المسلم على غير المسلم وهو مأجور على ذلك ومبرور ، قال تعالى : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً ﴾ (١) .

ومن الحالات التى يقع فيها بعض المحسنين أنهم يربطون بين إحسانهم وبين أن يمشى الإنسان على اجتهادهم التنظيمى فيقعون فى أخلاقية المنافقين واليهود ، ولا يشعرون ، قال تعالى : ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ ، وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ ﴾ (٢) .

وقد رأيت أناساً يفهمون فكرة التنظيم الإسلامى فهماً خاطئاً فيمنعون رفدهم وخيرهم عمن يجب عليهم أن يساعدوه بحجة أنهم يدفعون لتنظيم إسلامى ، ونحن نفهم أن التنظيم ينظم الخير ويدفع بالإنسان إلى مزيد من الإحسان ، ولكن أن يصبح التنظيم حائلاً بين الإنسان وبين شىء يجب عليه ، فذلك فهم معكوس لفكرة التنظيم الإسلامى .

* * *

---

(١) الإنسان : ٨ (٢) المنافقون : ٧

الفصل العاشر

فى التخطيط التنظيمى والإدارى

على كل مستوى لا بد من نظرية تنظيمية وأنظمة مناسبة لها ، ولا بد من نظرية إدارية ولوائح إدارية منبثقة عنها ، والبشر بطبيعتهم على مستوى الأسر والقبائل والشعوب والدول يميلون إلى التأطير والتقعيد ، ويعتبرون الفوضى عاراً وعيباً لا يصح أن تكون قاعدة يُقاس عليها .

وحاجة الأُمة الإسلامية فى وضعها الحالى ، وحاجة حكوماتها وشعوبها وجماعاتها وجمعياتها وأنديتها ومؤسساتها ومراكزها إلى النظريات التنظيمية والإدارية والأنظمة واللوائح لا تخفى ، هذه قضية لا يمكن ضبطها ولا إحصاؤها لأنها متجددة دائماً ومضطردة الاتساع ، وأكثر ما يستطيعه المفكرون هو أن يذكروا نماذج على بعض هذا الشأن ، ولا يستطيع أحد استيعابه ، ولذلك ينبغى أن تكون هناك أعين ساهرة لا هم لها إلا التنظير والتقعيد والتنظيم وتطوير الإدارة على كل مستوى كبر أو صغر ، وهكذا يجب أن يكون هناك متخصصون فى أى تجمع بشرى يحاولون تطوير النظريات التنظيمية وتلافى الأخطاء وتقنين ذلك .

وبالنسبة للأُمة الإسلامية والتجمعات فيها فهناك حاجة إلى الدساتير والأنظمة واللوائح على كل مستوى خاصة وأن هناك غموضاً كبيراً يغلف هذا الموضوع ، فلا يعرف الناس كيف ستجرى الأمور على أيدى الإسلاميين ، فهم فى هذا أمام مجهول ، حتى إن كثيراً من الناس ليشكون فيما إذا كان الإسلاميون يعرفون أن يتعاملوا مع بعضهم أو غيرهم على حسب أصول

معقولة ، ولذلك كان هذا النوع من التخطيط ووجود المختصين فيه ضرورة من الضرورات .

وأهم ما ينبغى ملاحظته فى أى نظرية تنظيمية أو إدارية ، وفى الأنظمة واللوائح المنبثقة عنها ما يلى :

أولاً : أن تكون فطرية وألا تكون على حساب العلاقات الفطرية بين المسلمين .

ثانياً : أن تكون منبثقة عن نصوص أو محققة لنصوص .

ثالثاً : أن تقوم على الشورى حيث لا نص شرعياً .

رابعاً : ألا يعتمد إطار تنظيمى إلا بعد إدخاله فى محك التجربة العملية .

خامساً : أن يكون الإطار التنظيمى معللاً بالنص أو بالتجربة لتبقى هناك ثوابت فى النظريات التنظيمية .

* * *

الفصل الحادى عشر

فى التخطيط لتدريب الدعاة والقادة

إنك عندما تُكلِّف إنساناً ما بمهمة ولم يكن مؤهَّلاً لها فإنه يُخَرِّب أكثر مما يُعَمِّر ، فإذا كانت هذه المهمة دعوية فقد يضل من حيث يريد الهداية ، ولذلك كان واجب الدعاة أن يدعوا إلى الله على بصيرة ، ومن ههنا كان التخطيط لتدريب القادة والدعاة واجباً رئيسياً من واجبات أى قيادة .

والدورات والحلقات والرحلات هى البيئة التى ينمو فيها الداعية ، والتدريب والتكليف بالمهمات هو البيئة التى ينمو فيها القائد .

ولا بد أن تكون المادة العلمية التى يُعطاها الإنسان موثَّقة على مذاهب أهل السُّنَّة والجماعة الاعتقادية والفقهية والسلوكية ولا بد أن تكون مادة التدريب والتكليف هى حصيلة تجربة صحيحة وحق ، والدورات العلمية التى نقترح أن يمر عليها الداعية عشر ، فصَّلناها فى غير ما كتاب : القرآن وعلومه - السُّنَّة وعلومها - اللغة العربية وعلومها - أصول الفقه - عقائد أهل السُّنَّة والجماعة - الفقه - الأخلاق والسلوك - التاريخ - أنظمة الإسلام والدراسات الإسلامية الحديثة - فقه الدعوة . ويركز فيها على « رسالة التعاليم » لأنها تشكل الجانب الفكرى الذى لا ينبغى للداعية أن يخرج عن إطاره لأنه هو القاسم المشترك الذى يمكن أن يلتقى عليه المسلمون .

وهناك دورات أخرى لا بد أن يمر عليها الداعية القائد حتى لا يُكَبِّر صغيراً ولا يُصَغِّر كبيراً ، فيهدم من حيث أراد البناء : دورة على الفقه السياسى للحركة الإسلامية ، ودورة على الفكر الإعلامى والدعوى ، ودورة على

التدبير المالى والاستثمارى ، ودورة على أنواع الرياضة والكشفية ، ودورة على كيفية التدريس وإلقاء المحاضرات ، وإدارة الاجتماعات وأدب المناقشات ، ولا بد أن يُدرَّب الداعية القائد على أن يتعرف على البيئة التى يعيش فيها وأن يتعرف على وسائل هذه المعرفة كالخرائط ، ودليل التليفون ومكاتب السياحة والتعرف على المدينة من خلال أمانة العاصمة فيها ، ولا بد أن يدرك بسرعة الإيجابيات التى يمكن أن يستفيد منها والسلبيات التى ينبغى أن يحذر منها ، وما ذكرناه نموذج ، وأمام العاملين لتدريب القادة والدعاة خيارات كثيرة .

* * *

الفصل الثانى عشر

فى التخطيط للاستفادة من المناخ المواتى وعدم التفريط فيه

قد تُغلق أبواب الدعوة فى مكان وتُفتح فى مكان ، وقد تُغلق بعض أبوابها فى مكان وتبقى بعض أبوابها مفتحة ، فعلى الدعاة فى كلتا الحالتين أن يركّزوا جهودهم حيث الأبواب مفتوحة أو حيث بعضها مفتوح ، وحيثما كانت الأبواب مفتوحة فلا يصح أن نتصرف تصرفاً غير قانونى يسد علينا هذه الأبواب ، فمثلاً إن مبدأ الحرية فى أوروبا وأمريكا يتيح لنا أن نصل لكل مسلم دارس ، وهؤلاء الدارسون سيرجعون قادة إلى بلادهم بالضرورة ، وعلى هذا فإنه ينبغى أن نركز جهوداً هائلة على هؤلاء ، وأن نتجنب المخالفات القانونية التى تفسد علينا مناخ الحرية ، وقد يكون هذا واجباً شرعياً ، فنحن عندما ندخل قطراً ما بتأشيرة دخول فهذا التزام ضمنى بألا نخالف قوانينه ، وقوانينه بالضرورة لا تفرض علينا ارتكاب حرام ما دام بلداً حراً ، وإذن فنحن ملتزمون بألا نخرق قوانين البلد الذى نحن فيه .

ولعل مناخ الحرية فى الغرب هو الذى يعطينا الفرصة الكبرى لتعميم الفكر الإسلامى الهادف المنظم .

وحيثما أتيحت لنا حرية نشر الدعوة فعلينا أن نستفيد من هذا المناخ ضمن إطار القانون ، وفى البلدان التى تبقى فيها بعض الأبواب مفتحة كتعليم اللغة العربية أو كتعليم القرآن ، فإن علينا أن نلج هذه الأبواب وألا نعكرها بمخالفات قانونية .

والداعية العارف بالله البصير بدينه ، لو أنه درس أى مادة فإنه يستطيع من خلالها أن يوصل الآخرين إلى معرفة الله التى توصلهم إلى معرفة دينهم والقيام بواجباتهم .

* * *

الفصل الثالث عشر

فى التخطيط لدرء مخططات الخصوم

إنه لا بد من رصد الفكر المعادى للإسلام أو المنحرف عنه ، وكذلك السلوك المنحرف عن الإسلام المعادى له ، ولا بد من التخطيط المكافىء والعمل المزيل لآثار هذا الفكر والسلوك .

إن هناك أشياءً تظهر فى المجتمع الإسلامى كأثر عن ضعفه أو عن ضعف التدين فيه ، ككل المنكرات والشذوذات ، وهذه علاجها علم صحيح ، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، ولكن هناك أشياءً يخطط لها الآخرون من أعداء الإسلام وهذه تحتاج إلى رصد وتخطيط مكافىء وعمل متواصل لإزالتها ، وهناك حالات يجتمع فيها ضعف الداخل مع تخطيط الخارج ، وكل ذلك يحتاج إلى علاج ، فالجهات التى تحتاج مواجهتها بتخطيط وتنظيم وتنفيذ كثيرة ، منها :

أولاً : التخطيط الغربى الرأسمالى التبشيرى وهو تخطيط متعدد الألوان يظهر بنواد ومؤسسات ظاهرها خيرى ، ويظهر بمدارس ومحافل وهو يستهدف الإسلام بشكلٍ ما ، كما يظهر هذا التخطيط بالتأكيد على تعميق بعض المفاسد الشخصية ، فهم يبذلون جهوداً كبيرة فى نشر الرذائل ويهمهم على الخصوص انتشار الزنا والتبرج والخمر والربا والقمار ، كما يظهر هذا التخطيط فى نشر العَلمانية ودعم الأحزاب العَلمانية ، والإسلام دين العلم ، ولكنهم يريدون بالعَلمانية إبعاد الإسلام .

ثانياً : الفكر الشيوعى الإلحادى وهو يشارك الفكر الرأسمالى فى كثير من

الأُمور ويهتم بالإلحاد وبالتجنيد للحزب الشيوعى ولخدمة الاتحاد السوڤييتى ، وكل من الاتجاهين الرأسمالى والشيوعى له جواسيسه المنتشرون فى كل مكان ، ولكل من الاتجاهين نظريته التنظيمية التى تحمى جواسيسه .

ثالثاً : الصهيونية وهى تلعب دوراً هائلاً فى التخطيط لإنهاء الإسلام وإضعاف حكومات العالَم الإسلامى أو تسخير بعضها فى مخططاتها .

رابعاً : أفكار الفِرَق الضالة المنحرفة عن أهل السُّنَّة والجماعة ، فهذه تلعب دوراً بنفسها كما تستخدم لتفتيت وحدة المسلمين وتُسخِّرها الاتجاهات الثلاث السابقة فى خدمة مخططاتها .

خامساً : هناك شعوب توجد عندها أقليات مسلمة تريد أن تستأصلها .

سادساً : هناك شعوب إسلامية مضطهدة لها تطلعات تحاول بعض الجهات أن تستغل هذه التطلعات لإخراجها عَن دينها ، وقد لا توجد الجهة الحكيمة التى تحاول الجمع الحكيم بين التطلعات والمحافظة على الإسلام .

سابعاً : هناك دول إسلامية صغيرة أو كبيرة تقع ضمن استراتيچيات قوى أقوى منها تريد ابتلاعها . فهذه القضايا كلها تحتاج إلى رصد ومعالجة .

* * *

الفصل الرابع عشر

فى التخطيط لإصلاح العمل الإسلامى الموجود وتطويره وتعميم المفاهيم الصالحة

فى العمل الإسلامى الدعوى توجد تيارات رئيسية خمسة :

أولاً : التيار العلمى الفقهى ، هذا التيار يجب أن تُبذل جهود فى لفت نظره إلى بعض العلوم التى يغفل عنها وخاصة ما له علاقة فى الأصول الثلاثة ، ومحاولة التعرف عليها تعرفاً يناسب العصر ، ومن المهم أن يُلفَت نظر هذا التيار إلى أهمية معرفة أنظمة الإسلام وتوعيته على فروض العصر وفروض الوقت وبعض فروض الكفاية المضيَّعة .

ثانياً : التيار السَلَفى ، وهو بحاجة إلى أن يتعمق فى دراسة أساليب العرب فى الخطاب ، وفى دراسة أُصول الفقه ، وفى الدراسات الإسلامية الحديثة ، وأن ينظر إلى تأويل الراسخين فى العلم نظرة واسعة ، وأن يحترم فتاوى الفقهاء ، وألا يتسرع فى رفض كلامهم إلا بعد التبحر فى معرفة الدليل .

ثالثاً : التيار الصوفى ، وهو بحاجة إلى أن يرد كل ما عنده إلى المعتمَد من عقائد أهل السُّنَّة والجماعة ومذاهبهم الفقهية ، وألا يتجاوز فى التصوف الحد الذى قرره القشيرى والغزالى وأمثالهما من الفقهاء ، ولا بد أن يعطى العلم بمفهومه الواسع حقه .

رابعاً : تيار الإخوان المسلمين ، وهو بحاجة إلى مزيد من دراسة العلوم المتوارثة ، وإلى مزيد من العبادة والأوراد ومجالسة العلماء والصالحين ، ومحبة أهل الإسلام عموماً .

خامساً : تيار جماعة الدعوة والتبليغ ، وهو بحاجة إلى مزيد من العلم والتفقه والوعى على قضايا المسلمين .

والداعية الذى ينتدب نفسه لتطوير تيار من التيارات عليه أن يلتزم بأدب أهل هذا التيار وألا يخرب عليهم عملهم وألا يؤذيهم ، وأن يسمع ويطيع لهم بالمعروف ، وأن يتلطف فى إدخال المفيد النافع عليهم دون جدل ، بل بقوة الحُجَّة ووضوح البيان ، ولا شىء يؤثر فى المسلم مثل النصوص ، فليجمع لما يريده من إصلاح أدلته من النصوص ، ولا شك أن وجود الدعاة الكمَّل المنبثين فى التيارات الإسلامية هو المقدمة الصحيحة لتعميم المفاهيم الصحيحة فى الأُمة الإسلامية .

إن تأكيدنا على معنى قوله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَىْءٍ ﴾ (١) وقدرتنا على تفهيمه وتفصيل ما يدخل فيه هو المقدمة لتعميم مفهوم صحيح هو مفهوم شمول الإسلام .

وهكذا لا بد من إحصاء المفاهيم التى يجب تعميمها ، ونؤكد على أن أصول الفهم العشرين التى وضعها الأستاذ البنا رحمه الله كلها مفاهيم ينبغى أن تُعمم .

هذا . . ويجب أن نزيل الحواجز بين العاملين للإسلام ، فما هو المانع مثلاً الذى يحول بين عضو الإخوان المسلمين وبين الخروج مع جماعة الدعوة والتبليغ ؟ وما هو المانع أن ينتسب الفرد فى جماعة الدعوة والتبليغ إلى عالِم ربَّانى ؟

* * *

(١) النحل : ٨٩

الفصل الخامس عشر

فى التخطيط لإنماء العلاقات والخدمة الاجتماعية والقيام بالمناسبات

إنه لا بد على كل مستوى أن توجد الجهة التى تقوم بحقوق المناسبات ، وتلك وسيلة من وسائل الدعوة والتذكير .

إن الناس يحبون مَن يشاركهم أفراحهم وأتراحهم ، فمن المناسبات التى ينبغى الاهتمام بها : المرض والولادة والعرس والوفاة وأمثال هذه المعانى ، فلا بد أن توجد الجهات التى تقوم بحقوق هذه المناسبات .

وأكثر الناس بحاجة إلى الخدمة العامة ، فكثيرون من الناس لا يحسنون التصرف للوصول إلى حاجاتهم ، ومن ههنا فإنه يجب أن توجد الجهة القادرة على الخدمة العامة ، وأن تكون هذه الجهة ذات حلم وأناة تسع الناس بقلوبها وأخلاقها ، فالذى ينتدب نفسه لهذه المهمة يجب أن يكون جندياً عند الله فى الأربع والعشرين ساعة ، لكن الخدمة العامة لا يستطيعها إلا مَن كانت له علاقات اجتماعية نامية ، ومن ههنا وجب على أمثال هؤلاء أن ينموا علاقاتهم الاجتماعية .

إن هناك عناصر فاعلة فى المجتمع ، إما بحكم مواقعها أو بحكم وظائفها أو بحكم مالها ، ومن هذه العناصر عناصر من أهل البلد ، وعناصر غريبة عنه كالسفراء ووكالات الأنباء وفروع الشركات ، وهذا مما ينبغى أن يُخطَّط فيه لفتح صلات مع هؤلاء وإجراء حوار ، وينبغى أن يخص الحاكمون من أعضاء السُلْطة التنفيذية والقضائية والنيابية والموظفون الكبار وأعضاء النقابات وزعماء الأحزاب والرؤساء وزعماء الأحياء وكبار الأسر وكبار المثقفين وأعضاء السلك الجامعى بمزيد عناية .

* * *

الفصل السادس عشر

فى التخطيط لتعميق الثقة
وتعميم النصيحة

عندما عرَّف رسول الله ﷺ الدين بأنه النصيحة فذلك تبيان لأهمية النصيحة فى الحياة الإسلامية ، ومن ههنا كان لا بد من الجهة التى توصل النصيحة إلى كل إنسان وإلى كل جهة ، وهذا يقتضى أن يتحرك كل العاملين للإسلام بالنصيحة ، كما ينبغى أن يُنظَّم هذا الأمر فلا يبقى أحد فى دائرة الحى والقرية إلا ووصلته النصيحة ، ولا تبقى مؤسسة ولا دائرة حكومية إلا وحُدِّد لها ناصحون ينصحونها فى أمر دنياها وأُخراها .

والمسلم ما دام فى قلبه بقية من إيمان فإن الذكرى تنفعه ، قال تعالى : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [(١)] ، لكن النصيحة تحتاج إلى شروط فى الناصح :

أولاً : أن يستطيع الناصح كسب ثقة المنصوح بأن يحقق الإخلاص لله فى نفسه ، وبأن يكون دارساً القضية التى ينصح فيها دراسة حكيمة متفوقة ، وأن يختار الوقت المناسب للنصيحة ، وأن يراعى مزاج المنصوح فينصحه فى وقت عنده استعداد لقبول النصيحة .

ثانياً : هناك جهات لها أوضاع رسمية معقَّدة ، فهذه قد تحتاج إلى حوار بعيد المدى للوصول معها إلى التغيير .

---

(١) الذاريات : ٥٥

ثالثاً : قد تكون النصيحة غير مباشرة بأن يوضع بيد المنصوح الكتاب أو المقال الذى يناسب الحال ، لذلك كان من أهم وسائل تعميم النصيحة تعميم الكتاب الإسلامى النافع .

رابعاً : إن التجرد لله وإشعار المنصوح بأنه لا توجد للناصحين غاية دنيوية من أهم ما تحتاجه النصيحة .

خامساً : إن شعور المنصوح بتفوق الناصح فى القضية التى يتكلم فيها وتواضع الناصح لله مما يساعد على قبول النصيحة .

إن وجود جهة مركزية على كل مستوى تنظم النصيحة من واجبات العمل الإسلامى المعاصر .

❊ ❊ ❊

الفصل السابع عشر

فى التخطيط للعمل النقابى

إنه لا يصح أن يُترك العمل النقابى للشيوعيين أو اليساريين أو غير الإسلاميين ليعبثوا به ، فلا بد للإسلاميين أن يكون لهم عملهم النقابى فى كل مهنة وفى كل حرفة ، ومن ثَمَّ فلا بد أن يدخل ذلك فى دائرة تخطيطهم ، ولا بد أن يُلحَظ فى هذا التخطيط عدد من الأشياء :

أولاً : أن يُفقَّه أصحاب المهنة بالإسلام عامة وفى فقه مهنتهم خاصة ، فمن سنن عمر رضى الله عنه أنه كان يمنع غير المتفقهة من البيع فى الأسواق .

ثانياً : أن تكافح النقابة من أجل وصول أبنائها إلى الأجور العادلة وإلى إيصالهم إلى حقوقهم . وملاحقة مَن يأكل عليهم حقوقهم ، وأن تكافح من أجل ضمانهم الصحى والمالى .

ثالثاً : أن يكون فيما بين أبناء النقابة تكافل يحقق لكل واحد منهم الحد الأدنى من الحاجات الضرورية كالملبس والمسكن والتعليم والمأكل والتداوى .

رابعاً : أن يحرس أبناء النقابة من أن يدخل عليهم فكر وافد غريب .

خامساً : أن يكون لكل نقابة مخططاتها فى خدمة نفسها ، وفى خدمة أُمَّتها ، وفى خدمة دولتها ، وفى خدمة شعبها .

سادساً : أن يكون لكل نقابة مقر يقيم الدورات ويكون له علاقات بمثيلاته فى كل مكان للاستفادة من الخبرات وتعميمها بحيث يصل إلى أبناء النقابة أحدث ما يظهر فى العالم مما يخص نقابتهم .

سابعاً : أن تتبنى كل نقابة متابعة ثقافة أبنائها للارتقاء بكل واحد منهم لإيصاله إلى أن يكون ذا شهادة جامعية .

ثامناً : أن يكون هناك اتحاد للنقابات المتماثلة الإسلامية على مستوى العالم .

تاسعاً : أن يكون هناك اتحاد للعمال المسلمين فى كل العالم تكون له لوائحه وأنظمته وصندوقه التكافلى ، والذين يشتغلون بالمزارع والحقول والمسامك والدواجن يدخلون فيما ذكرنا ، وتكون لهم نقاباتهم الخاصة بهم ، كما أن المتدينين فى كل وزارة يسرى عليهم ما ذكرناه ، ويسعون أن يكون لهم نقابة أو نادٍ يحقق المقصود ، ومحاولة أن تكون هذه النقابات أو النوادى لها صبغة قانونية لا بد منها .

* * *

الفصل الثامن عشر

فى التخطيط للطلاب والشباب

قال تعالى : ﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ﴾ (١) ، فالملاحَظ هنا أن الذين قبلوا دعوة موسى رغم المخاطر هم الشباب ، قال تعالى عن أهل الكهف : ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدىً ﴾ (٢) ، فالشباب مظنة قبول الحق وتحمل مسئولية الدعوات ، والذين قبلوا دعوة الرسول ﷺ أكثرهم كانوا صغار السن ، ومن ههنا ينبغى التخطيط لإيصال الدعوة إلى الشباب عامة وإلى الطلاب خاصة ، ويحدث كثيراً أن الاندفاع الذى يستقبل به الشباب الدعوة لا يُستفاد منه حق الاستفادة ، والمفروض أنه بعد استقبال الشباب للدعوة أن يُوجَّهوا نحو الأذكار والعبادة والعمل الصالح والعلوم الشرعية ، بحيث يتخرَّج الإنسان من الجامعة وقد نضج فى الثقافة الإسلامية والخصائص والالتزام ، بل ينبغى أن يكون هدفنا أن يتخرَّج الإنسان من الجامعة وهو داعية كامل بالمواصفات التى ذكرناها فى رسالتنا « إجازة تخصص الدعاة » .

فههنا إذن ثلاثة أنواع من التخطيط للطلاب والشباب :

أولاً : إيصال الدعوة إليهم .

ثانياً : تحريكهم بالدعوة .

---

(١) يونس : ٨٣ (٢) الكهف : ١٣

ثالثاً : ملء فراغهم بعد الاستجابة للدعوة بالعلم والعبادة والتوعية على مزالق الطريق .

. أما إيصال الدعوة إليهم فوسائلها متعددة ، منها : دعوتهم إلى حلقات قرآنية أو علمية ، ومنها دعوتهم إلى محاضرات ودروس ، وأصعب الأمور هى نقطة البداية فكما يقول المثل اليونانى : « البداية أكثر من النصف فى كل شىء » ، وكما يقول المثل الإنجليزى : « جنى الجنيه الأول أصعب من جنى الجنيهات التالية » .

فالبحث عن الأول الذى يدعو زملاءه وإخوانه قد يكون هو الأهم فى المدرسة وفى الصف أو فى دائرة المسجد ، ولكن الداعية المبصر لا يعجزه أن يعثر على الأول فهو من خلال معرفة آباء الطُلاب أو إخوانهم أو أقربائهم أو أصدقاء هؤلاء يعثر على الأول الذى يدعو إخوانه ، وفى الغالب فإن الشباب يتتابعون ويسارعون إلى تلقى الخير .

ثم إن هؤلاء الذين استجابوا أولاً يجب أن يُحرَّكوا لدعوة زملائهم ، وقد ألفنا عندما كنا طلاباً أن نبحث فى كل صف عن الطالب الأول ثم نكلفه بدعوة زملائه ، وكانت نجاحاتنا متفاوتة ، فبعض الصفوف كنا نكسبها كاملة تقريباً للدعوة إلى الله ، وبعضها كنا لا تكسب منها إلا قلائل ، ولكن هؤلاء القلائل يتركون أثراً حميداً على مَن حولهم ، إلا إننا كنا نفتقد المنهاج والبيئة والموجِّه ، هذه القضايا كنا نعوضها بشكل من الأشكال ، أما الآن فالمفروض أن نركِّز على المسجد فى أن يكون هو المحضن والبيئة ، وقد أصبحت الكتب الإسلامية المفيدة التى تصلح أن تكون منهجاً متكاملاً للشباب موجودة ، فمنهج ومسجد وموجِّه وحركة فى الخير وللخير ينبغى أن تكون هماً من همومنا بالنسبة للطُلاب والشباب .

* * *

الفصل التاسع عشر

فى التخطيط للعمل الإسلامى فى الريف والبدو

كثيراً ما حُصِرت الدعوة الإسلامية الحديثة فى المدن حتى إن بعض العاملين فى الحقل الإسلامى لا يعرفون شيئاً عن قرى مدينتهم ولا عن ريفها ولا عن القبائل البدوية الموجودة حولها إن كانت ، وهذا إخلال بواجب شرعى ، فمن ثَمَّ كان التخطيط للعمل الإسلامى فى الريف والقبائل البدوية مهماً جداً ، وأعظم شىء نخدم به فى هذا المجال هو العثور على ناس من أهل هذه القرى ومن البدو يدرسون الدراسة الشرعية الإسلامية ليرجعوا إلى أهلهم دعاة ، وإنه لأجر كبير أن يتولى بعض أغنياء المسلمين الإنفاق على أمثال هؤلاء ، فهذا النوع من التخطيط يحقق قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَافَّةً ، فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ ﴾ [(١)] .

ومن التخطيط الذى ينبغى أن نسعى إليه أن نوجد علاقات وصداقات بين أهل المدينة وأهل الريف ، بحيث تكون زيارات متبادلة ينزل الريفى فيها عند أخيه الحَضَرى وينزل الحَضَرى فيها عند أخيه الريفى ، والأصل فى هذا الحديث الشريف : « زاهر باديتنا ونحن حاضرته » .

ومن التخطيط المطلوب خروج الدعاة إلى الريف والدعوة إلى الله عَزَّ وجَلَّ فيه ، وقد أصَّلت جماعة الدعوة والتبليغ هذا النوع من الخروج تاصيلاً جيداً ، فلو اجتمع تأصيل هؤلاء وهمتهم مع علم العلماء ودعوة الدعاة لحدث خير

---

(١) التوبة : ١٢٢

كثير ، وبل إنه لينبغى أن توجد جهة مركزية فى كل مدينة لتحرك الدعاة إلى كل قرية ومضارب قبيلة أسبوعياً .

ومن التخطيط المطلوب للريف أن يقيم الدعاة حفلات بالمناسبات كمناسبة المولد النبوى والهجرة وأمثال ذلك ، وأن يدعى أهل الريف من قِبَل أهل المدينة لحضور مثل هذه الاحتفالات مع تأمين لوازم ذلك من تنقلٍ ومبيت وضيافة ، وأن يرتبط بعض أهل القرى والبدو بشيوخ لهم على بصيرة فذلك من أكثر ما ينبغى التخطيط له .

وفى كثير من الأحيان يحدث أن رجلاً من أهل قرية ينال حظه من الثقافة أو الدعوة فيهجر قريته ويهاجر منها ولا تبقى له صلة بأهل قريته وهذا عقوق كبير ، فعلى كل داعية أن يخصص أوقاتاً فى السنة يجدد فيها صلة الأقارب والأرحام .

وهناك الخدمات الطبية والإنسانية التى لا ينبغى أن يغفل عنها الدعاة .

أعرف بعض أطباء وصيادلة كانوا يرحلون إلى القرى ويطببون ويداوون مجاناً ، وأعرف بعض الأطباء كانوا يطببون كل مَن يأتى إليهم من أهل حى بعينه أو قرية بعينها مجاناً .

والخدمات الإنسانية كثيرة فأن يدل ابن المدينة ابن الريف على أسهل الطرق لتأمين خدماته وتسهيل حاجاته فذلك شىء كثير .

فمشاركة العاملين للإسلام أهل الريف فى أفراحهم وأتراحهم جزء مما يجب التركيز عليه ، والحديث الشريف يقول : « حق المسلم على المسلم ست : إذا لقيته فسلِّم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له ، وإذا عطس فحمد الله فشمِّته ، وإذا مرض فعُدْه ، وإذا مات فاتبعه » (رواه مسلم) .

فمَن استطاع من العاملين للإسلام فى المدينة أن يخصص نفسه لإقامة هذه الحقوق فى قرية ما فذلك مما ينبغى التركيز عليه .

ومما ينبغى التركيز عليه فى كل قرية إيجاد المسجد والمستوصف والنادى الرياضى والنادى الكشفى والجمعية الخيرية والمؤسسة الاستثمارية الإسلامية .

* * *

الفصل العشرون

فى التخطيط للعمل النسائى

قال عليه الصلاة والسلام : « النساء شقائق الرجال » ، فالمرأة كالرجل فى أصل التكليف ، ولكن تكليفها يختلف نوعاً ما عن تكليف الرجل ، فأحياناً يكون تكليف الرجل أشق وأحياناً يكون تكليفها أشق ، فمثلاً هى لا تُكلَّف بأنواع من الجهاد بينما تُكلَّف بالحجاب ، وهكذا فهناك تكليفات مشتركة بين الرجال والنساء . وهناك تكليفات خاصة بالرجال ، وهناك تكليفات خاصة بالنساء .

والتخطيط للعمل النسائى قد يحتاج إلى دقة أكثر من التخطيط للعمل الرجالى ، فالعمل فى صفوف النساء إذا لم يرافقه الورع والدقة فقد يكون مثاراً للجدل ، وقد يكون مثاراً للفتنة ، وقد يكون مجالاً للشبهة .

وكثير من مجالات التخطيط التى ذكرناها فيما مضى ينبغى أن يُخَص بها النساء كما يُخَص بها الرجال ، إلا أنه لا بد من مراعاة طبيعة المرأة وتكليفها فلا نُحمِّلها ما لا تطيق ، فالتنظيمات النسوية ينبغى أن تقتصر على الجوانب الثقافية والتربوية والخدماتية ، ويجب أن توجَّه الطالبات الإسلاميات نحو التخصصات التى تليق بهن كتطبيب النساء وتدريسهن ، ولا بد أن يُراعَى فى منهاج النساء ما هو ألصق بهن ، فالنصوص الواردة فى النساء خاصة يجب أن تكون محل عناية ، فمثلاً كتاب « حُسن الأُسوة فيما ورد فى النسوة » مما ينبغى التفقه فيه ، والكتب التى تحتاج المرأة المعاصرة أن تطلع عليها ينبغى أن يُركَّز عليها ككتاب « المرأة بين الفقه والقانون » للسباعى رحمه الله ، و « المرأة فى القرآن الكريم » للعقاد ، وكتاب « الحجاب » للأستاذ المودودى .

وإذن فالمناهج النسائية لا بد أن يكون فيها شيء من التميز ، ولا بد أن يكون فيها تركيز على بعض القضايا ، ولا بد من التركيز على أن المهمة الأولى للمرأة أنها زوجة وأم وربة بيت ، وإعطاء هذه المعانى حقوقها .

والتجمعات النسائية التى يتولاها النساء أنفسهن هى الأجود فى عصرنا ، كما أن التجمعات النسائية التى تحضر فيها المرأة درس العلماء فى المساجد أو فى المراكز الإسلامية تأتى بالدرجة الثانية .

وقد استطاعت بعض المشتغلات بالدعوة الإسلامية أن تجتذب إلى الإسلام الكثيرات ، كما استطاعت أن تنشىء مؤسسات نسوية كثيرة ، فأنشأت مجمعات تجارية نسوية لكل ما تحتاجه المرأة ، وأنشأت دور حضانة ، وأنشأت جمعيات نسوية ، وتخرج من طالباتها أديبات وشاعرات وفقيهات وداعيات .

والملاحَظ أن القُوَى المعادية للإسلام تركِّز على إفساد المرأة ، فما لم تقم المرأة المسلمة بدورها فى رد الهجمة المعادية فإن أعمال الدعاة ستذهب هدراً أو أنها تكون قاصرة .

إن الرجل بحاجة إلى زوجة تنجب أطفالاً وتربى أطفالاً ، فإذا تزوج الفاسدة أفسدته وأفسدت ذُرِّيته .

وامرأة فاسدة واحدة قد تفتن خلقاً كثيراً ، ولذلك ذكر رسول الله ﷺ أنه ما ترك فتنة أضر على الرجال من النساء .

ومن ههنا كان التخطيط للعمل النسائى ينبغى أن يأخذ حيِّزاً كبيراً من جهودنا ، ولا بد من لفت النظر إلى قضيتين :

أولاً : أن ولى المرأة يجب أن يبذل جهوداً كثيرة فى رعايتها بما يحقق التكليف الإلهى وبما يلحظ فيه التطور الحديث .

ثانياً : ينبغى أن نحاول مع المرأة أن ترتقى إلى عزائم التكليف وفى الوقت نفسه أن نكون مستعدين للتعامل مع الحد الأدنى للتكليف ، فالحد الأدنى من

التكليف هو الذى يسع عصرنا ، فمثلاً هناك قولان للفقهاء فى أن صوت المرأة عورة أو غير عورة ، فعصرنا لا يسع إلا أن نتساهل فنأخذ بالقول الأدنى وهو أن صوت المرأة ليس بعورة . ومَن أرادت أن تأخذ بالعزائم فذلك أولى لها ، ولكن لا بد أن يكون عندنا استعداد للأخذ بالحد الأدنى من أقوال الفقهاء فى تكليف المرأة ، وهذا القدر هو الذى يسعنا فى عصرنا ويجعل المرأة المتدينة قادرة على المحافظة على تدينها ومنافسة المرأة الفاجرة فى كثير من مجالات الحياة ، فمثلاً أجاز فقهاء الحنفية للمرأة أن تكون قاضية فى كثير من الشئون وإنما ضمن شروط العفاف والتحصن وعدم الخلوة بالرجال .

وهكذا نجد كثيراً من أقوال الفقهاء التى تجعل المرأة المسلمة فى عصرنا تنافس المرأة الفاجرة فى مجالات الحياة مع احتفاظها بدينها وقيامها بحق الله تعالى .

* * *

خاتمـــــــــة

هذا الكتاب دعوة وتذكير ولفت نظر لما ينبغى أن يراعيه القائمون على العمل الإسلامى ، ولم يشأ المؤلف فى هذا الكتاب أن يضع قوالب فى التنظيم خشية من أن يجتهد اجتهاداً يُجمِّد بدلاً من أن يُحرِّك الطاقات ويُطلقها ، وقل مثل ذلك فى التنفيذ ، فالعاملون يجب أن يمتلكوا عبقرية التنفيذ ، لكن يفترض المؤلف أن الإنسان المسلم ينبغى أن يعتاد على الجندية كما يعتاد على القيادة ، وقد يكون فى آن واحد جندياً وقائداً ، فهو فى جانب من جوانب التخطيط قد بكون قائداً ، وفى جانب آخر قد يكون جندياً ، ولا بد أن يكون واضحاً أن نظرية تنظيمية واحدة لا يمكن أن تسع العمل الإسلامى ولا تسع أنواع النشاط الذى يحتاجها هذا العمل ، فظروف العمل الإسلامى تختلف من قطر إلى قطر ، ومن مكان إلى مكان ، وفى كثير من الأحيان يفرض الواقع نوعاً من النظريات التنظيمية ، ولذلك جعلنا الكتاب فى التخطيط فقط .

ولا شك أن كثيراً مما ورد فى هذا الكتاب يحدث بشكل عفوى أو منظم ، ولكن لا بد من جهة مركزية على مستوى البلد والقطر والعالم تسهر لتدعم الموجود وتوجد المفقود ، وهذا حق كما أنه واجب .

ولذلك فإننا نختم هذا الكتاب بدعوة كل جندى لله أن يفكر ويعمل حتى لا تبقى ثغرة من ثغر الإسلام إلا وعليها جندى .

فالله الله ، أن يُؤتَى الإسلام من قِبَله .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

٨ صفر سنة ١٤٠٨هـ - ١ تشرين أول (أكتوبر) سنة ١٩٨٧ م

* * *

محتويات الكتاب

الصفحة

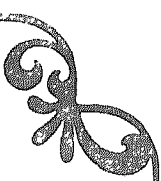
الباب الثانى : فى ساحات التخطيط فى العمل الإسلامى المعاصر (٩٧ - ١٦٠)

الصفحة

* * *

رقم الإيداع ١٠٠٧٨ / ٩٤

I. S. B. N 977 - 225 - 061 - 6

للمؤلف

١ – الله جل جلاله .

٢ – الرسول صلى الله عليه وسلم (جزآن معاً) .

٣ – الإسلام (أربعة أجزاء معاً) .

٤ – جند الله ثقافة وأخلاقاً .

٥ – من أجل خطوة إلى الأمام
على طريق الجهاد المبارك .

٦ – تربيتنا الروحية .

٧ – فى آفاق التعاليم .

٨ – جولات فى الفقهين الكبير والأكبر .

٩ – المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين .

١٠ – هذه تجربتى .. وهذه شهادتى .

١١ – جند الله تخطيطاً .

